التفسير التحليلي لقوله تعالى:

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ
أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى
وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ (الآية١٨٦سورةالبقرة)

إعداد

د. عبد الرحمن السيد عبد الله عبد الفتاح

المدرس بقسم التفسير وعلوم القرآن

في كلية أصول الدين والدعوة بالمنصورة

للتواصل:

Email: ahmedabdelazeem2932.el@azhar.edu.eg

ملخص البحث

"**التفسير التحليلي لقوله تعالى:** ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (الآية ١٨٦ سورة البقرة)"

عبد الرحمن السيد عبد الله عبد الفتاح

قسم التفسير وعلوم القرآن، كلية أصول الدين والدعوة، جامعة الأزهر، المنصورة، مصر.

البريد الالكتروني:

AbdelrahmanAbdelfattah659.el@azhar.edu.eg

الملخص:

يهدف البحث إلى تفسير الآية الكريمة تفسيرا تحليليا مبرزا وجه هداية القرآن الكريم في الآية الكريمة للعمل به فنسعد في الدنيا والآخرة، وقد تناول البحث مقدمة احتوت على نبذة مختصرة عن فضل القرآن الكريم وتفسيره، وتمهيدا اشتمل على نبذة مختصرة عن فضل الدعاء وأهميته، كما بينت في البحث المناسبة بين الآية الكريمة وما قبلها، وحررت القول في ثبوت سبب نزول للآية الكريمة من عدمه، وبينت المعاني اللغوية لمفردات الآية الكريمة، وفسرت الآية الكريمة تفسيرا جمعت فيه بين صحيح المأثور عن النبي ﷺ والصحابة والتابعين، والرأي المحمود، مبينا أوجه البلاغة في الآية الكريمة، وما تواتر فيها من قراءات، وذكرت ما ترشد إليه الآية الكريمة، ووضحت لطائفها، وأكدت الدراسة قوة ارتباط الآية الكريمة بآيات الصيام قبلها، وأنه لم يصح لها سبب نزول، وأن الآية الكريمة بينت بأبلغ أسلوب قرب الله من عباده وأنه مطلع على

ذكرهم وشكرهم، يسمع نداءهم، ويجيب دعاءهم، ولا يخيب رجاءهم.

الكلمات المفتاحية: التفسير التحليلي- سألك- قريب- دعوة- يرشدون- البقرة.

Research Summary

Analytical interpretation of the verse:

"And when My servants ask you ،﴿O Muhammad﴾ ، concerning Me - indeed I am near. I respond to the invocation of the supplicant when he calls upon Me. So let them respond to Me ﴿by obedience﴾ and believe in Me that they may be ﴿rightly﴾ guided. " Surat Al-Baqara (186)

Abd al-Rahman al-Sayyid Abdullah Abd al-Fattah

Department of Interpretation and Sciences of the Qur'an ، Faculty of Fundamentals of Religion and Dawah ،Al-Azhar University ،Mansoura ،Egypt

Email: **AbdelrahmanAbdelfattah659.el@azhar.edu.eg**

Abstract:

The research aims to explain the noble verse in an analytical interpretation ،highlighting the face of the guidance of the Noble Qur'an in the noble verse to work with it ،so we will be happy in this world and the hereafter.

In preparation ،it included a brief overview of the virtue of supplication and its importance ،as it showed in the research the appropriateness between the noble verse and what preceded it ،and edited the statement regarding the confirmation of the reason for the revelation of the noble verse or not ،and explained the linguistic meanings of the vocabulary of the noble verse.

The noble verse was interpreted as an interpretation in which it combined the authentic sayings of the Prophet^ ،the companions and the followers ،and the praiseworthy opinion ، showing the aspects of rhetoric in the noble verse ،and the frequent readings in it ،and mentioned what the verse guides to ،and clarified its categories ،and the study confirmed the strength of the connection of the noble verse with the verses of fasting before it.

And that the reason for its revelation was not valid ،and that the noble verse demonstrated in the most eloquent manner the closeness of God to His servants and that He is aware of their remembrance and thanksgiving ،hears their call ،answers their supplication ،and does not disappoint their hope.

Keywords: Analytical interpretation - ask you - close - call - guide - Al-Baqara.

المقدمة

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ۝١ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ۝٢ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا﴾[1].

أَحمَدُه جل وعلا على نعمه التي لا تحصى، وأشكُرُه جل جلاله على آلائه التي لا تزال تَتْرى، فسبحانه وتعالى مُتواتر إلينا فضله وإحسانه، وموصول إلينا بره وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، وصَفِيُّه من خلقه وحبيبه، قال في الحديث المتفق عليه: "مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ، مَثَلُ الأُتْرُجَّةِ، رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ، وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ التَّمْرَةِ، لا رِيحَ لَهَا وَطَعْمُهَا حُلْوٌ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ، مَثَلُ الرَّيْحَانَةِ، رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي لا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ، كَمَثَلِ الْحَنْظَلَةِ، لَيْسَ لَهَا رِيحٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ"[2]، أرسله ربه رحمة للعالمين، وأنزل عليه الفرقان ليكون للعالمين نذيرا ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾[3]، فصلاةً وسلامًا على سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهديه، واستن بسنته، وسار على نهجه إلى يوم

---

(١) سورة الكهف: ١، ٢، ٣.

(٢) "**صحيح البخاري**" كتاب التوحيد- بَابُ قِرَاءَةِ الفَاجِرِ وَالمُنَافِقِ، وَأَصْوَاتُهُمْ وَتِلاَوَتُهُمْ لاَ تُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، ٩/ ١٦٢، رقم ٧٥٦٠، ط/ طوق النجاة. "**صحيح مسلم**" كتاب صَلاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا- بَابُ فَضِيلَةِ حَافِظِ الْقُرْآنِ- ١/ ٥٤٩، رقم ٧٩٧، ط/ دار إحياء التراث العربي، تحقيق: محمد عبد الباقي.

(٣) سورة الفرقان: ١.

الدين.

أما بعد:

فإن القرآن الكريم أنزله الله عز وجل؛ لإخراج الناس من الضلال إلى الهدى، ومن الظلمة إلى النور، قال تعالى: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ﴾[1]، وبين سبحانه أنَّ سعادة البشرية في الدنيا والآخرة تتوقف على العمل بهديه، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَبِيرٗا﴾[2]، فمن اتبع القرآن الكريم فلا يضل ولا يشقى، ومن أعرض عنه فإن له معيشة ضنكا، قال تعالى في سياق الحديث عن آدم وحواء: ﴿قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ١٢٣ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ١٢٤ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا ١٢٥ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ ١٢٦ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي مَنۡ أَسۡرَفَ وَلَمۡ يُؤۡمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦۚ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبۡقَىٰٓ﴾[3]، وإذا كان هذا شأن كتاب الله الحكيم فإن أعظم العلوم قدرا وأعلاها منزلة وأرفعها مكانة تفسير كتاب الله عز وجل لأنه الطريق لحسن فهم كلام رب العالمين الذي به سعادة العالمين، وإذا كان شرف ومكانة كل علم بشرف موضوعه فإن موضوع التفسير هو كلام الله تعالى الذي فضله على سائر الكلام كفضل الله على سائر خلقه، ثم إن علم التفسير شامل

---

(١) سورة إبراهيم: ١.

(٢) سورة الإسراء: ٩.

(٣) سورة طه: الآيات ١٢٣: ١٢٧.

لسائر العلوم الأخرى حيث إن المتحدث فيه تارة يتحدث في العقيدة، وتارة أخرى يتحدث في الأحكام الشرعية، وتارة يتحدث في أخبار وقصص الأمم السابقة، وهكذا... ، فالمفسر يتنقل بين العلوم جميعا، ومن هذا المنطلق أردت أن أقتبس من هذا الشرف وتلكم المكانة السامقة لأهل التفسير، فمَنَّ اللهُ عليَّ بالتأمل والتفكر في آية تحمل في طياتها هداية وسعادة وسكونا وشفاءا وفرجا لمن عمل بهديها وتدبر وتأمل مراد الله عز وجل منها، ألا وهي آية الدعاء التي توسطت آيات الصيام في سورة البقرة، وجعلت بحثي بعنوان:

"**التفسير التحليلي لقوله تعالى:** ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (الآية ١٨٦ سورة البقرة)"

وحتى ينهض البحث بالمهمة التي أنيطت به، ويحقق الهدف الذي يصبو إليه، فقد قسمته إلى: مقدمة وتمهيد وستة مباحث وخاتمة ثم فهرس الموضوعات.

أما المقدمة: فاحتوت على نبذة مختصرة عن فضل القرآن الكريم، وتفسيره، وخطة البحث، وأسباب اختيار الموضوع.

وأما التمهيد: فاشتمل على نبذة مختصرة عن فضل الدعاء وأهميته.

وأما المباحث الستة فهي كالتالي:

المبحث الأول: مناسبة الآية الكريمة لما قبلها.

المبحث الثاني: تحرير القول في سبب نزول الآية الكريمة.

المبحث الثالث: بيان المعاني اللغوية لمفردات الآية الكريمة.

المبحث الرابع: الشرح والبيان.

المبحث الخامس: لطائف الآية الكريمة.

المبحث السادس: ما ترشد إليه الآية الكريمة.

وأما الخاتمة: فتشتمل على أهم النتائج والتوصيات، ومراجع البحث، وفهرس الموضوعات.

هذا ومن أهم أسباب اختيار هذا الموضوع، ما يلي:

أولا: حاجتنا الماسة إلى استشعار قرب الله عز وجل واللجوء إليه تعالى في كل مواقف حياتنا.

ثانيا: الإسهام في إبراز وجه من أوجه هدايات القرآن الكريم، للعمل به حتى نسعد في الدنيا والآخرة.

ثالثا: التمرس على التفسير التحليلي للقرآن الكريم بذكر نموذج له.

التمهيد

الإنسان عمومًا على ظهر الأرض تدور حياته بين السراء والضراء والخير والشر، وهو في الحالين في أَمسّ الحاجة إلى خالقه سبحانه وتعالى، يستشعر قربه ويتقرب إليه بالشكر والدعاء عند السراء، ويلجأ إليه بالصبر والدعاء عند الضراء، فالإنسان في كل شئون حياته يحتاج إلى استشعار قرب الله منه ودعائه في كل حين.

ولقد أمر الله عباده بدعائه الذي هو صلاحهم وسبيل سعادتهم في الدنيا والآخرة فقال تعالى: ﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعا وَخُفْيَةً إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾(١)، وتفضل عليهم بتكفل إجابة أدعيتهم، فقال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾(٢)، وطمأن قلوبهم بقربه، فقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾(٣).

وبيَّن النبي ﷺ قيمة الدعاء قائلا: ("إِنَّ الدُّعَاءَ هُوَ الْعِبَادَةُ"، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾)(٤)، وأخبرنا ﷺ أن الدعاء نافع للإنسان في جميع أحواله قائلا: "إِنَّ الدُّعَاءَ

---

(١) سورة الأعراف: ٥٥.

(٢) سورة غافر: ٦٠.

(٣) سورة البقرة: ١٨٦.

(٤) أخرجه الإمام أبو داود في "سننه" كتاب الصلاة، أبواب فضائل القرآن، باب الدعاء، ٢/ ٦٠٣ رقم ١٤٧٩، ط/ دار الرسالة، تحقيق: شعيب الأرنؤوط. والإمام الترمذي في "سننه" أبواب تفسير القرآن، باب ومن سورة المؤمن، ٥/ ٢٢٧ رقم ٣٢٤٧، ط/ دار الغرب الإسلامي، =

يَنْفَعُ مِمَّا نَزَلَ وَمِمَّا لَمْ يَنْزِلْ، فَعَلَيْكُمْ عِبَادَ اللهِ بِالدُّعَاءِ"(١).

والدعاء سبب لمغفرة الذنوب كما قال النبي ﷺ: "قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلاَ أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ، وَلاَ أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لاَ تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً"(٢).

تحقيق: بشار عواد معروف. -وقال عقبه: هذا حديث حسن صحيح. - والإمام ابن ماجة في "سننه" أبواب الدعاء، باب فضل الدعاء، ٥/ ٥ رقم ٣٨٢٨، ط/ دار الرسالة، تحقيق: شعيب الأرنؤوط. والإمام أحمد في "مسنده" مسند الكوفيين، حديث النعمان بن بشير ﷺ، ٣٠/ ٣٣٦ رقم ١٨٣٨٦، ط/ مؤسسة الرسالة، تحقيق: شعيب الأرنؤوط.

(١) أخرجه الإمام الترمذي في "سننه" أبواب الدعاء، ٥/ ٤٤٤ رقم ٣٥٤٨. وقال عَقِبَه: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ، لاَ نَعْرِفُهُ إِلاَّ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ القُرَشِيِّ، وَهُوَ الْمَكِّيُّ الْمُلَيْكِيُّ، وَهُوَ ضَعِيفٌ فِي الحَدِيثِ قَدْ تَكَلَّمَ فِيهِ بَعْضُ أَهْلِ الْحَدِيثِ مِنْ قِبَلِ حِفْظِهِ. والإمام الحاكم في "المستدرك" كِتَابُ الدُّعَاءِ، وَالتَّكْبِيرِ، وَالتَّهْلِيلِ، وَالتَّسْبِيحِ وَالذِّكْرِ، ١/ ٦٧٠ رقم ١٨١٥، ط/ دار الكتب العلمية، تحقيق: مصطفى عطا. والإمام البيهقي في "القضاء والقدر" ص٢١٢، ط/ مكتبة العبيكان، تحقيق: محمد بن عبد الله. قلت: الحديث معناه صحيح ثابت، فالدعاء ينفع مما نزل بتفريجه وكشفه، ومما لم ينزل بدفعه وحبسه.

(٢) أخرجه الإمام الترمذي في "سننه" أبواب الدعوات، بَاب فِي فَضْلِ التَّوْبَةِ وَالاِسْتِغْفَارِ وَمَا ذُكِرَ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ بِعِبَادِهِ، ٥/ ٤٤٠ رقم ٣٥٤٠. والإمام أحمد في "مسنده" مسند الأنصار، حَدِيثُ أَبِي ذَرٍّ الْغِفَارِيِّ ﷺ، ٣٥/ ٣٧٥ رقم ٢١٤٧٢. والإمام الدارمي في "سننه" ومن كتاب الرقاق، بَابُ: إِذَا تَقَرَّبَ الْعَبْدُ إِلَى اللهِ تَعَالَى، ٣/ ١٨٣٥، رقم ٢٨٣٠، ط/ دار المغني، تحقيق: حسين =

وهو أيضا سبب عظيم في نزول الرحمات، وحلول البركات، وتفريج الكروب، وشفاء المريض، وقضاء الديون، وغير ذلك مما يَسْعَد به الداعي في الدنيا قبل الآخرة، والمتدبر لكتاب الله يقف على صفحة ذُكر فيها أشد ضر، وأعظم غم، وأصعب عقم في البشريه، ومع ذلك كان الدعاء هو السلاح الفتاك لكل ذلك، قال تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾[1]. ومن رحمة الله عز وجل أنه جعل كَشْفَ الضر والنجاةَ من الغم ووَهْبَ الذرية بالدعاء عاما للمؤمنين العابدين الداعين ربهم، وليس خاصا بأنبيائه، فالدعاء سبب لجلب كل الخيرات ودفع كل الشرور.

لذا فالعاجز الحقيقي من عجز عن الدعاء كما قال النبي ﷺ: "أَعْجَزُ النَّاسِ مَنْ عَجَزَ

سليم. والحديث حسن بشواهده، رجاله ثقات إلا كَثِيرُ بْنُ فَائِدٍ قال عنه الإمام ابن حجر في "التقريب" (ص: ٤٦٠): مقبول.

(١) سورة الأنبياء: ٨٣: ٩٠.

فِي الدُّعَاءِ، وَأَبْخَلُ النَّاسِ مَنْ بَخِلَ بِالسَّلامِ"(١).

والمتأمل في القرآن يجد أن الأنبياء كانوا يلجئون إلى الله تعالى بالدعاء في كل أحوالهم، ومن أمثلة ذلك:

دعاء سيدنا آدم عليه السلام: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾(٢).

ودعاء سيدنا نوح عليه السلام: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾(٣).

ودعاء سيدنا إبراهيم عليه السلام: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ ۗ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى

---

(١) أخرجه الإمام الطبراني في "المعجم الأوسط" باب الميم، من اسمه محمد، ٥/ ٣٧١ رقم ٥٥٩١، ط/ دار الحرمين، تحقيق: طارق بن محمد. والإمام البيهقي في "شعب الإيمان" بَابٌ فِي مُقَارِبَةِ أَهْلِ الدِّينِ وَمُوَادَّتِهِمْ، وَإِفْشَاءِ السّلامِ بَيْنَهُمْ، ١١/ ١٩٣، رقم ٨٣٩٢، ط/ مكتبة الرشد بالرياض، تحقيق: عبد العلي حامد. قلت: الحديث حسن الإسناد، فيه مَسْرُوقُ بْنُ الْمَرْزُبَانِ، قال عنه الذهبي في "ميزان الاعتدال" (٤/ ٩٨): صدوق معروف. وباقي رجال الحديث ثقات. والحديث ذكره الإمام السيوطي في "الجامع الصغير" (رقم ١١٤٥): وعزاه للطبراني والبيهقي عن أبي هريرة، ورمز له بالحسن.

(٢) سورة الأعراف: ٢٣.

(٣) سورة نوح: ٢٨.

لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلۡ دُعَآءِ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ﴾(١).

ودعاء سيدنا يوسف عليه السلام: ﴿رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسۡلِما وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾(٢).

ودعاء سيدنا موسى عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَة مِّن لِّسَانِي يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرا مِّنۡ أَهۡلِي هَٰرُونَ أَخِي ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرا وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرا قَالَ قَدۡ أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ يَٰمُوسَىٰ﴾(٣).

وغيرهم من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وذلك يدل على مدى عظم الدعاء واستشعار قرب الله عز وجل وإجابته لدعوة الداعين.

---

(١) سورة إبراهيم: ٣٧: ٤١.

(٢) سورة يوسف: ١٠١.

(٣) سورة طه: ٢٥: ٣٦.

المبحث الأول

مناسبة الآية الكريمة بما قبلها

📖 تلمس وجه التناسب والترابط بين آيات الكتاب الحكيم يعين على حسن فهم القرآن الكريم واستنباط لطائفه، حيث إنه يجعل القرآن الكريم كالكلمة الواحدة متسقة المعاني منتظمة المباني، فيسلم بذلك من التنافر والاختلاف، **قال الإمام الرازي**: أَكْثَرُ لَطَائِفِ الْقُرْآنِ مُودَعَةٌ فِي التَّرْتِيبَاتِ وَالرَّوَابِطِ.(١)

وقال الإمام الزركشي: الرابع: – من الأمور التي تعين على المعنى عند الإشكال –: دَلالَةُ السِّيَاقِ، فَإِنَّهَا تُرْشِدُ إِلَى تَبْيِينِ الْمُجْمَلِ، وَالْقَطْعِ بِعَدَمِ احْتِمَالِ غَيْرِ الْمُرَادِ، وَتَخْصِيصِ الْعَامِّ، وَتَقْيِيدِ الْمُطْلَقِ، وَتَنَوُّعِ الدَّلالَةِ، وَهُوَ مِنْ أَعْظَمِ الْقَرَائِنِ الدَّالَّةِ عَلَى مُرَادِ الْمُتَكَلِّمِ، فَمَنْ أَهْمَلَهُ غَلِطَ فِي نَظِيرِهِ وَغَالَطَ فِي مُنَاظَرَاتِهِ.(٢)

📖 والمتأمل في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾، يجد أن الآية الكريمة توسطت الحديث عن آيات الصيام، ولعل السر في ذلك أن يعلم الصائم قربَ من يطيعه ويؤدي فرائضه منه، واطلاعَه على ذكره وشكره وعبادته، وإجابتَه لدعائه، وأن شهر رمضان من أعظم أوقات الدعاء، وأحراه بالإجابة، وقد أخبرنا النبي ﷺ أن دعوة الصائم

---

(١) "مفاتيح الغيب" لأبي عبد الله محمد بن عمر الرازي، ت: ٦٠٦هـ، ١٠/ ١١٠، ط/ دار إحياء التراث العربي.

(٢) "البرهان في علوم القرآن" لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الزركشي، ت: ٧٩٤هـ، ٢/ ٢٠٠، ط/ دار إحياء الكتب العربية، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.

لا ترد[1].

📖 **وهذه الآية الكريمة من تمام الآية التي قبلها: أولا**: لأن الله عز وجل لما أمر عباده الصائمين بإكمال العدة وبتكبيره الذي هو الذكر، وحثهم على شكره على ما مَنَّ به عليهم من إتمام الصوم، بين في هذه الآية أنه قريب منهم، مطلع على ذكرهم وشكرهم، يسمع نداءهم، ويجيب دعاءهم، ولا يخيب رجاءهم، تأكيدا لما أمرهم به وحثا عليه، **قال الإمام الراغب الأصفهاني**: إن قيل: كيف فصل بين الآية الأولى وبين التي بعد هذه وهما في حكم رمضان بهذه الآي وهي قد اختلفت عنهما؟ ، قيل: بل هي من تمام الآية الأولى، لأنه لما حث على تكبيره وشكره على ما قيضه لهم من إتمام الصوم، بين أن الذي تذكرونه وتشكرونه قريب منكم ومجيب لكم إذا دعوتموه، ثم تمم ما بقي من أحكام الصوم.[2]

---

(١) قال الإمام البيهقي في "السنن الكبرى" (كتاب الاستسقاء- بَابُ اسْتِحْبَابِ الصِّيَامِ لِلاسْتِسْقَاءِ لِمَا يُرْجَى مِنْ دُعَاءِ الصَّائِمِ- ٣/ ٤٨١ رقم ٦٣٩٢): أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللهِ الْحَافِظُ، وَأَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ الْحَسَنِ الْقَاضِي قَالَا: ثنا أَبُو الْعَبَّاسِ مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ، ثنا إِبْرَاهِيمُ بْنُ بَكْرٍ الْمَرْوَزِيُّ، ثنا السَّهْمِيُّ يَعْنِي عَبْدَ اللهِ بْنَ بَكْرٍ، ثنا حُمَيْدٌ الطَّوِيلُ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "ثَلاثُ دَعَوَاتٍ لا تُرَدُّ، دَعْوَةُ الْوَالِدِ، وَدَعْوَةُ الصَّائِمِ، وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ"، ومن طريقه أخرجه الإمام الضياء المقدسي في "الأحاديث المختارة" (٦/ ٧٤، ٧٥ رقم ٢٠٥٧). والحديث إسناده حسن، حسن إسناده كل من: الأستاذ الدكتور عبد الملك بن دهيش محقق كتاب "الأحاديث المختارة"، والشيخ الألباني في "صحيح الجامع الصغير وزياداته" ١/ ٥٨٢ رقم ٣٠٣٢.

(٢) "تفسير الراغب الأصفهاني" لأبي القاسم الحسين بن محمد، المعروف بـ"الراغب الأصفهاني"، ت: ٥٠٢هـ، ١/ ٣٩٥، ط/ كلية الآداب، جامعة طنطا، تحقيق: د/ محمد بسيوني. وبنحو هذا الوجه من المناسبة قال كثير من المفسرين منهم: الإمام الرازي في "مفاتيح =

وقال الإمام ابن عاشور: نَظْمُ الآيَةِ مُؤْذِن بِأَنَّ اللهَ تَعَالَى بَعْدَ أَنْ أَمَرَهُمْ بِمَا يَجِبُ لَهُ عَلَيْهِمْ أَكْرَمَهُمْ فَقَالَ: وَإِذَا سَأَلُوا عَنْ حَقِّهِمْ عَلَيَّ فَإِنِّي قَرِيبٌ مِنْهُمْ أُجِيبُ دَعْوَتَهُمْ.(١)

ثانيا: من آداب الدعاء أن يبدأ صاحبه بالثناء الجميل على الله عز وجل، وفي هذه الآية الكريمة التي بين فيها ربنا إجابته للداعين، أمر قبلها بتكبيره، تنبيها على أن الدعاء لابد وأن يكون مسبوقا بالثناء على الله عز وجل، **قال الإمام الرازي**: فِي كَيْفِيَّةِ اتِّصَالِ هَذِهِ الآيَةِ بِمَا قَبْلَهَا وُجُوهٌ: الثَّانِي: أَنَّهُ أَمَرَ بِالتَّكْبِيرِ أَوَّلا ثُمَّ رَغَّبَهُ فِي الدُّعَاءِ ثَانِيًا، تَنْبِيهًا عَلَى أَنَّ الدُّعَاءَ لا بُدَّ وَأَنْ يَكُونَ مَسْبُوقًا بِالثَّنَاءِ الْجَمِيلِ، أَلا تَرَى أَنَّ الْخَلِيلَ عليه السلام لَمَّا أَرَادَ الدُّعَاءَ قَدَّمَ عَلَيْهِ الثَّنَاءَ، فَقَالَ أولا: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ﴾(٢) إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾(٣) وَكُلُّ هَذَا ثَنَاءٌ مِنْهُ عَلَى اللهِ تَعَالَى ثُمَّ شَرَعَ بَعْدَهُ فِي الدُّعَاءِ فَقَالَ: ﴿رَبِّ هَبْ لِى حُكْما وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾(٤)، فكذا هاهنا أَمَرَ بِالتَّكْبِيرِ

الغيب" ٥/ ٢٦٠. والإمام البيضاوي في "أنوار التنزيل وأسرار التأويل" ١/ ١٢٥، ط/ دار إحياء التراث العربي، تحقيق: محمد المرعشلي. والإمام أبي حيان في "البحر المحيط في التفسير" ٢/ ٢٠٥، ط/ دار الفكر، تحقيق: صدقي جميل. والإمام النيسابوري في "غرائب القرآن ورغائب الفرقان" ١/ ٥٠٥، ط/ دار الكتب العلمية، تحقيق: زكريا عميرات. والإمام إسماعيل حقي في "روح البيان" ١/ ٢٩٦، ط/ دار الفكر.

(١) "التحرير والتنوير" للطاهر ابن عاشور التونسي، ت: ١٣٩٣هـ، ٢/ ١٧٨، ط/ الدار التونسية.

(٢) سورة الشعراء: ٧٨.

(٣) سورة الشعراء: ٨٢.

(٤) سورة الشعراء: ٨٣.

أَوَّلا ثُمَّ شَرَعَ بَعْدَهُ فِي الدُّعَاءِ ثَانِيًا.(١)

📖 وقد يقال في وجه المناسبة: جاءت الآية الكريمة بين آيات الصيام لتبين أن الصائمين إذا كانوا وقت صيامهم أكثر استعدادا للاتصال بالله لصفاء روحهم فالله عز وجل دائما أقرب إلى الإنسان من حبل الوريد، **قال الأستاذ/ عبد الكريم الخطيب**: جاءت هذه الآية بين الآيات الشارحة للصوم وأحكامه؛ لتلفت الصائمين إلى ما هم عليه في تلك الحال من صفاء روحي يدنيهم من الله ويجعلهم أكثر استعدادا للاتصال به، فالله سبحانه وتعالى دائما أبدا أقرب إلى الإنسان من حبل الوريد، ولكن الإنسان هو الذي تختلف أحواله مع الله، فيدنو أو يبعد، ويتصل أو ينقطع حسب إيمانه به، وطاعته له، ورجائه فيه، والإنسان في شهر الصوم مهيأ للقرب من الله، مستيقظ المشاعر والأحاسيس لمناجاته.(٢)

📖 فالآية الكريمة توسطت آيات الصيام لتبين قرب الله عز وجل للصائمين الذاكرين الشاكرين، وإجابته عز وجل لدعائهم، واطلاعه على أقوالهم وأفعالهم، وأن شهر رمضان من أعظم مواسم الدعاء لفضيلته ولحال الداعي فيه، **قال الإمام بن عاشور**: وَفِي هَذِهِ الآيَةِ إِيمَاءٌ إِلَى أَنَّ الصَّائِمَ مَرْجُوٌّ الإِجَابَةِ، وَإِلَى أَنَّ شَهْرَ رَمَضَانَ مَرْجُوَّةٌ دَعَوَاتُهُ، وَإِلَى مَشْرُوعِيَّةِ الدُّعَاءِ عِنْدَ انْتِهَاءِ كُلِّ يَوْمٍ مِنْ رَمَضَانَ.(٣)

---

(١) "مفاتيح الغيب" للرازي، ٥/ ٢٦٠. وبنحو هذا الوجه من المناسبة قال كل من: الإمام أبي حيان في "البحر المحيط في التفسير" ٢/ ٢٠٥. والإمام النيسابوري في "غرائب القرآن ورغائب الفرقان" ١/ ٥٠٥.

(٢) "التفسير القرآني للقرآن" لعبد الكريم يونس الخطيب، ١/ ٢٠٢، ٢٠٣، ط/ دار الفكر العربي.

(٣) "التحرير والتنوير" للطاهر بن عاشور، ٢/ ١٧٩.

المبحث الثاني

تحرير القول في سبب نزول الآية الكريمة

📖 إن معرفة الحادثة أو القصة الصحيحة التي من أجلها نزلت الآية تعين على الفهم القويم للآية، وتعصم من الزلل، فمعرفة سبب النزول أصل عظيم من أصول التفسير، لذا اهتم به أهل العلم قديما وحديثا فأفردوه بالتصنيف(١)، ولا طريق لمعرفة سبب النزول إلا بالنقل الصحيح ممن شاهده وحضره، **قال الإمام الواحدي**: لا يَحِلُّ الْقَوْلُ فِي أَسْبَابِ نُزُولِ الْكِتَابِ، إلا بِالرِّوَايَةِ وَالسَّمَاعِ مِمَّنْ شاهدوا التنزيل، ووقفوا عَلَى الأَسْبَابِ.(٢)

وقال الإمام ابن دقيق العيد: بَيَانُ سَبَبِ النُّزُولِ طَرِيقٌ قَوِيٌّ فِي فَهْمِ مَعَانِي الْقُرْآنِ.(٣)

وَقيل: مَعْرِفَةُ سَبَبِ النُّزُولِ يُعِينُ عَلَى فَهْمِ الآيَةِ، فَإِنَّ الْعِلْمَ بِالسَّبَبِ يُوَرِّثُ الْعِلْمَ

---

(١) من المؤلفات المستقلة في أسباب النزول: "أسباب النزول" لعلي بن المديني، ت: ٢٣٤هـ، و"أسباب النزول" للواحدي، ت: ٤٦٨هـ، و"أسباب النزول" لأبي الفرج بن الجوزي، ت: ٥٩٧هـ، و"لباب النقول في أسباب النزول" للسيوطي، ت: ٩١١هـ، "الصحيح المسند من أسباب النزول" لمقبل الوداعي، و"الاستيعاب في بيان الأسباب" لسليم الهلالي، ومحمد آل نصر، و"صحيح أسباب النزول" لإبراهيم العليّ.

(٢) "أسباب النزول" للواحدي، ت: ٤٦٨هـ، ص٨، ط/ دار الإصلاح، الدمام، الطبعة الثانية، تحقيق: عصام الحميدان.

(٣) نقل قوله الإمام السيوطي في "الإتقان في علوم القرآن" لجلال الدين السيوطي، ت: ٩١١هـ، ١/ ١٠٨، ط/ الهيئة المصرية العامة للكتاب، تحقيق: محمد أبو الفضل.

بِالْمُسَبَّبِ.(١)

📖 هذا وذكر المفسرون عدة أسباب لنزول قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾، أذكرها وأبين صحتها من ضعفها؛ لأحرر القول في ثبوت سبب نزول لهذه الآية من عدمه.

السبب الأول:

قال الإمام الطبري: وَقَدِ اخْتَلَفُوا فِيمَا أُنْزِلَتْ فِيهِ هَذِهِ الآيَةُ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: نَزَلَتْ فِي سَائِلٍ سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَقَرِيبٌ رَبُّنَا فَنُنَاجِيهِ، أَمْ بَعِيدٌ فَنُنَادِيهِ؟ فَأَنْزَلَ اللهُ ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ﴾ حَدَّثَنَا بِذَلِكَ ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: ثنا جَرِيرٌ، عَنْ عَبْدَةَ السِّجِسْتَانِيِّ، عَنِ الصَّلْب بْنِ حَكِيمٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ.(٢)

---

(١) "مجموع الفتاوى" لابن تيمية، ت: ٧٢٨هـ، ١٣/ ٣٣٩، ط/ مجمع الملك فهد، المدينة المنورة، تحقيق: عبد الرحمن قاسم.

(٢) "تفسير الطبري" لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، ت": ٣١٠هـ، ٣/ ٤٨٠ رقم ٢٩٠٤، ط/ مؤسسة الرسالة، تحقيق: أحمد ومحمود شاكر. وأخرج هذا الحديث كل من: الإمام أبي حاتم في "تفسيره" ١/ ٣١٤ رقم ١٦٦٧، ط/ مكتبة نزار، تحقيق: أسعد الطيب، والإمام أبي الشيخ الأصبهاني في "العظمة" ٢/ ٥٣٥، ط/ دار العاصمة، تحقيق: رضاء الله المباركفوري. والإمام الدارقطني في "المؤتلف والمختلف" ٣/ ١٤٣٥، ١٤٣٦، ط/ دار الغرب الإسلامي، تحقيق: موفق بن عبد القادر. والإمام أبي بكر الخطيب البغدادي في "تلخيص المتشابه في الرسم" ١/ ٤٦٢، ط/ دار طلاس للترجمة والنشر، تحقيق: سكينة الشهابي.

=

📖 وهذا الحديث المروي في سبب نزول الآية الكريمة من رواية الصُّلْب بْنِ حَكِيمٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، **قال عنه الحافظ ابن ناصر الدين الدمشقي** في "التوضيح" عند ترجمته للصُّلْب بن حكيم: بِحَدِيث وَاحِد لَيْسَ لَهُ غَيره، فِي سَنَده اضْطِرَاب، وَهُوَ فِي سَبَب نزُول قَوْله تَعَالَى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾، رَوَاهُ جرير بن عبد الحميد عَن عَبدة بن أبي بَرزَة عَن صُلْب بِهِ.(١)

وقال عنه الحافظ ابن حجر العسقلاني في "العجاب": وفي سنده ضعف.(٢) وضعف الحديث أيضا الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على "تفسير الطبري" قائلا: وهذا الحديث ضعيف جدًا، منهار الإسناد بكل حال.(٣)

📖 وذكر هذا السبب جل المفسرين منهم –على سبيل المثال–: الإمام أبو الليث السمرقندي في "بحر العلوم" (١/ ١٢٣، ١٢٤)، والإمام الثعلبي فيس "الكشف والبيان" (٢/ ٧٤)، والإمام مكي بن أبي طالب في "الهداية إلى بلوغ النهاية" (١/ ٦١١)، والإمام الماوردي في "النكت والعيون" (١/ ٢٤٢)، والإمام الواحدي في "الوسيط في تفسير القرآن المجيد" (١/ ٢٨٣)، والإمام السمعاني في "تفسير القرآن" (١/ ١٨٥)، والإمام البغوي في "معالم التنزيل" (١/ ٢٢٥)، والإمام ابن عطية في "المحرر الوجيز" (١/ ٢٥٥). وغيرهم.

(١) "توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم" لابن ناصر الدين محمد بن عبد الله الدمشقي، ت: ٨٤٢هـ، ٥/ ٤٣٧، ط/ مؤسسة الرسالة، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي.

(٢) "العجاب في بيان الأسباب" لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ت: ٨٥٢هـ، ١/ ٤٣٤، ط/ دار ابن الجوزي، تحقيق: عبد الحكيم محمد الأنيس.

(٣) تعليق أحمد شاكر على "تفسير الطبري" لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، ، ٣/ ٤٨٠ رقم ٢٩٠٤.

📖 قلت: من ترجموا للصلب بن حكيم لم يذكروا له غير هذا الحديث عن أبيه عن جده، ونص كل من: الإمام الخطيب البغدادي في "تلخيص المتشابه في الرسم" (١/ ٤٦٢)، والإمام ابن ماكولا في "الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب" (٥/ ١٩٦)، والحافظ ابن ناصر الدين الدمشقي في "توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم" (٥/ ٤٣٧) على أنه ليس له غير هذا الحديث، وعلى أنه لا تصح نسبة الصلب أنه ابن حَكِيمِ بْنِ مُعَاوِيَةَ الْقُشَيْرِيِّ التابعي المعروف، وأبوه صحابي معروف، ولم يذكروا في الصلب جرحا ولا تعديلا فهو مجهول الحال، وكذلك أبوه وجده مجهولان الحال، بالإضافة إلى أن محمد بن حميد الرازي شيخ الإمام الطبري ضعيف أيضا، فالحديث ضعيف جدا.

السبب الثاني:

قال الإمام عبد الرزاق: نا جَعْفَرُ بْنُ سُلَيْمَانَ، عَنْ عَوْفٍ، عَنِ الْحَسَنِ، قَالَ: سَأَلَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ النَّبِيَّ، فَقَالُوا: أَيْنَ رَبُّنَا؟ فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ الآية.(١)

(١) أخرجه الإمام عبد الرزاق بن همام الصنعاني في "تفسيره" ١/ ٣١٤ رقم ١٩٦، ط/ دار الكتب العلمية، تحقيق: محمود عبده. ومن طريقه أخرجه الإمام الطبري في "تفسير الطبري" ٣/ ٤٨١ رقم ٢٩٠٥.

📖 ذكر هذا السبب كثير من المفسرين منهم –على سبيل المثال–: الإمام الثعلبي في "الكشف والبيان" (٢/ ٧٤)، والإمام مكي بن أبي طالب في "الهداية إلى بلوغ النهاية" (١/ ٦١٠)، والإمام الرازي في "مفاتيح الغيب" (٥/ ٢٦٠)، والإمام الخازن في "لباب التأويل في معاني =

📖 هذا الحديث قال عنه الإمام السيوطي في "اللباب": مرسل، وله طرق أخرى.(١)

قلت: لم أقف على طرق أخرى تعضد هذا الحديث، لا مرسل آخر ولا مسند عن أحد من صحابة النبي ﷺ.

وقال الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على "تفسير الطبري": وهذا الإسناد صحيح إلى الحسن، ولكن الحديث ضعيف، لأنه مرسل، لم يسنده الحسن عن أحد من الصحابة.(٢)

📖 قلت: جَعْفَرُ بنُ سُلَيْمَانَ أَبُو سُلَيْمَانَ الضُّبَعِيُّ، قال عنه الإمام ابن حجر في "تقريب التهذيب" (ص ١٤٠): صدوق زاهد لكنه كان يتشيع. وعَوْفُ بنُ أَبِي جَمِيْلَةَ أَبُو سَهْلٍ الأَعْرَابِيُّ، قال عنه الإمام ابن حجر في "تهذيب التقريب" (ص ٤٣٣): ثقة رمي بالقدر وبالتشيع. فالحديث حسن الإسناد إلى الإمام الحسن البصري، لكنه ضعيف لأنه مرسل، لم يسنده الإمام الحسن البصري عن أحد من صحابة رسول الله ﷺ.

السبب الثالث:

قال الإمام الطبري: وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ نَزَلَتْ جَوَابًا لِمَسْأَلَةِ قَوْمٍ سَأَلُوا النَّبِيَّ ﷺ: أَيُّ

التنزيل" (١/ ١١٤)، والإمام ابن كثير في "تفسير القرآن العظيم" (١/ ٥٠٦)، والإمام النيسابوري في "غرائب القرآن ورغائب الفرقان" (١/ ٥٠٥).

(١) "لباب النقول في أسباب النزول" لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ت: ٩١١هـ، ص٢٣، ط/ دار الكتب العلمية، تحقيق: أحمد الشافعي.

(٢) تعليق أحمد شاكر على "تفسير الطبري" لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، ، ٣/ ٤٨١ رقم ٢٩٠٥.

سَاعَةٍ يَدْعُونَ اللهَ فِيهَا؟ ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ وَكِيعٍ، قَالَ: ثنا أَبِي، عَنْ سُفْيَانَ، عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ، عَنْ عَطَاءٍ، قَالَ " لَمَّا نَزَلَتْ ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ﴾ (غافر: ٦٠) قَالُوا فِي أَيِّ سَاعَةٍ؟ قَالَ: فَنَزَلَتْ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌۖ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾.(١)

📖 قلت: رجال الحديث كلهم ثقات إلا سفيان بن وكيع قال عنه الإمام ابن حجر في "تقريب التهذيب" (ص ٢٤٥): كان صدوقا إلا أنه ابتلي بوراقه فأدخل عليه ما ليس من حديثه فنصح فلم يقبل فسقط حديثه. والحديث ضعيف، لأنه مرسل، لم يسنده الإمام عطاء بن أبي رباح عن أحد من أصحاب رسول الله ﷺ.

السبب الرابع:

قال الإمام الطبري: وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ نَزَلَتْ جَوَابًا لِقَوْمٍ قَالُوا: كَيْفَ نَدْعُو؟ ، حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ مُعَاذٍ، قَالَ: ثنا يَزِيدُ، قَالَ: ثنا سَعِيدٌ، عَنْ قَتَادَةَ، قَالَ: "ذُكِرَ لَنَا أَنَّهُ لَمَّا أَنْزَلَ اللهُ

---

(١) "تفسير الطبري" للطبري، ٣/ ٤٨٢ رقم ٢٩٠٦. وأخرج الحديث أيضا: الإمام الطبراني في "الدعاء" لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، ت: ٣٦٠هـ، ص ٢٥ رقم ١١، ط/ دار الكتب العلمية، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا.

📖 وذكر هذا السبب كثير من المفسرين منهم –على سبيل المثال–: الإمام مكي بن أبي طالب في "الهداية إلى بلوغ النهاية" (١/ ٦١١)، والإمام الماوردي في "النكت والعيون" (١/ ٢٤٢)، والإمام ابن عطية في "المحرر الوجيز" (١/ ٢٥٥)، والإمام الرازي في "مفاتيح الغيب" (٥/ ٢٦٠)، والإمام القرطبي في "الجامع لأحكام القرآن" (٢/ ٣٠٨)، والإمام الخازن في "لباب التأويل في معاني التنزيل" (١/ ١١٤)، والإمام أبو حيان في "البحر المحيط في التفسير" (٢/ ٢٠٥).

﴿ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ﴾ (غافر: ٦٠) قَالَ رِجَالٌ: كَيْفَ نَدْعُو يَا نَبِيَّ اللهِ؟ فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿يَرْشُدُونَ﴾.(١)

📖 قلت: رجال الحديث كلهم ثقات إلا بشر بن معاذ قال عنه الإمام ابن حجر في "تقريب التهذيب" (ص ١٢٤): صدوق. والحديث ضعيف، لأنه مرسل، لم يسنده الإمام قتادة بن دِعَامة السَّدوسي عن أحد من أصحاب رسول الله ﷺ، ونص الآية غير مطابق لسبب النزول لأنهم سألوا عن الكيفية.

السبب الخامس:

قال الإمام الثعلبي: رَوَى الْكَلْبِيُّ عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ قَالَ: قَالَ يَهُودُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ: يَا مُحَمَّدُ كَيْفَ يَسْمَعُ رَبُّنَا دُعَاءَنَا وَأَنْتَ تَزْعُمُ أَنَّ بَيْنَنَا وَبَيْنَ السَّمَاءِ مَسِيرَةَ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ، وَإِنَّ غِلَظَ كُلِّ سَمَاءٍ مِثْلُ ذَلِكَ؟ فَنَزَلَتْ هذه الآية.(٢)

---

(١) "تفسير الطبري" للطبري، ٣/ ٤٨٣ رقم ٢٩١٢.

📖 وذكر هذا السبب من المفسرين: الإمام ابن أبي زَمَنِين في "تفسير القرآن العزيز" (١/ ٢٠٢)، والإمام الثعلبي في "الكشف والبيان" (٢/ ٧٤)، والإمام الماوردي في "النكت والعيون" (١/ ٢٤٢)، والإمام السمعاني في "تفسير القرآن" (١/ ١٨٥)، والإمام ابن عطية في "المحرر الوجيز" (١/ ٢٥٥)، والإمام الرازي في "مفاتيح الغيب" (٥/ ٢٦٠)، والإمام النيسابوري في "غرائب القرآن ورغائب الفرقان" (١/ ٥٠٥). والإمام السيوطي في "الدر المنثور" (١/ ٤٧٠).

(٢) "الكشف والبيان عن تفسير القرآن" لأبي إسحاق أحمد بن محمد الثعلبي، ت: ٤٢٧هـ، ٢/ ٧٤، ط/ دار إحياء التراث العربي، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور. وذكر هذا الحديث من رواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس ﷺ كل من: الإمام البغوي في "معالم التنزيل في تفسير القرآن" لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي، ت: ٥١٠هـ، ١/ ٢٢٥، ط/ =

📖 قلت: حديث موضوع، لأنه من رواية محمد بن السائب الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس ﷺ، وهي أوهى طرق الرواية عن ابن عباس ﷺ، فالكلبي قال عنه الإمام ابن حجر في "تقريب التهذيب" (ص ٤٧٩): متهم بالكذب ورمي بالرفض. وقال عنه الإمام السيوطي في "الدر المنثور" (٨/ ٧٠٠): والكلبي اتَّهَمُوهُ بِالْكَذِبِ، وَقد مرض فَقَالَ لأَصْحَابه فِي مَرضه: كل شَيْء حدثتكم عَن أبي صَالح كذب. وقد أقر الكلبي لسفيان الثوري بقوله: كل ما حدثتك عَنْ أَبِي صَالِحٍ فهو كذب[1]. وأبو صالح باذام مولى أم هانئ بنت أبي طالب قال عنه الإمام ابن حجر في "تقريب التهذيب" (ص ١٢٠): ضعيف يرسل.

دار إحياء التراث العربي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي. والإمام ابن الجوزي في "زاد المسير في علم التفسير" لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ابن الجوزي، ت: ٥٩٧هـ، ١/ ١٤٥، ط/ دار الكتاب العربي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي. والإمام القرطبي في "الجامع لأحكام القرآن" لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، ت: ٦٧١هـ، ٢/ ٣٠٨، ط/ دار الكتب المصرية، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش. والإمام ابن حجر في "العجاب في بيان الأسباب" ١/ ٤٣٥.

📖 وذكر هذا السبب من المفسرين: الإمام أبو منصور الماتريدي في "تأويلات أهل السنة" (٢/ ٤٨)، والإمام الرازي في "مفاتيح الغيب" (٥/ ٢٦٠)، والإمام الخازن في "لباب التأويل في معاني التنزيل" (١/ ١١٤)، والإمام ابن عادل في "اللباب في علوم الكتاب" (٣/ ٢٩٣)، والإمام النيسابوري في "غرائب القرآن ورغائب الفرقان" (١/ ٥٠٥). والإمام محمد صديق خان في "فتح البيان في مقاصد القرآن" (١/ ٣٧١).

(١) "ميزان الاعتدال في نقد الرجال" لأبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، ت: ٧٤٨هـ، ٣/ ٥٥٧، ط/ دار المعرفة، تحقيق: علي محمد البجاوي.

السبب السادس:

قال الإمام السيوطي: أخرج ابْن عَسَاكِر فِي تَارِيخه عَن عَليّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ "لا تعجزوا عَن الدُّعَاء فَإِن الله أنزل عليَّ ﴿ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ﴾" فَقَالَ رجل: يَا رَسُول الله رَبنَا يسمع الدُّعَاء أم كَيفَ ذَلِك فَأنْزل الله ﴿وَإِذا سَأَلَك عبَادى عنى فَإِنِّى قريب﴾ الآيَة.(١)

📖 قلت: هذا الحديث من رواية الوليد بن مسلم القرشي عن ابن جريج عن عروة، والوليد مدلس، ذكره الإمام ابن حجر في المرتبة الرابعة وهم من اتفق على أنه لا يحتج بشيء من حديثهم إلا بما صرحوا فيه بالسماع لكثرة تدليسهم على الضعفاء والمجاهيل(٢).

---

(١) "الدر المنثور في التفسير بالمأثور" لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، ت: ٩١١هـ، ١/ ٤٦٩، ط/ دار الفكر. وأخرج الحديث كل من: الإمام علي بن محمد بن صافي، أبو الحسن الربعي، ت: ٤٤٤هـ، في "فضائل الشام ودمشق"ص٥٦ رقم ٩٠، ط/ مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق، تحقيق: صلاح الدين المنجد. والإمام ابن عساكر في "تاريخ دمشق" باب ذكر فضل المساجد المقصودة بالزيارة كالربوة ومقام إبراهيم وكهف جبريل والمغارة، ٢/ ٣٢٩، ط/ دار الفكر، تحقيق: عمرو العمروي.

📖 وذكر هذا السبب من المفسرين: الإمام محمد ثناء الله المظهري في "التفسير المظهري" (١/ ٢٠٠)، والإمام الشوكاني في "فتح القدير" (١/ ٢١٣)، والشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الهرري في "حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن" (٣/ ١٤٩).

(٢) "طبقات المدلسين" لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني: ت: ٨٥٢هـ، ص٥١، ط/ مكتبة المنار، تحقيق: عاصم بن عبد الله القريوتي.

وقال عنه الإمام الذهبي: كان مدلسا، فيتقى من حديثه ما قال فيه عن[1]، وقد عنعن هنا فلا يقبل حديثه، وعليه فالإسناد ضعيف.

السبب السابع:

قال الإمام الرازي: ذَكَرُوا فِي سَبَبِ نُزُولِ هَذِهِ الآيَةِ وُجُوهًا: أَنَّهُ ﷺ كَانَ فِي غَزْوَةٍ وَقَدْ رَفَعَ أَصْحَابُهُ أَصْوَاتَهُمْ بِالتَّكْبِيرِ وَالتَّهْلِيلِ وَالدُّعَاءِ، فَقَالَ ﷺ: "إِنَّكُمْ لا تَدْعُونَ أَصَمَّ ولا غَائِبًا إِنَّمَا تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا".[2]

📖 قلت: هذا الحديث متفق عليه، إلا أنه ليس في رواياته ذكر الآية الكريمة، فلا يعد من قبيل سبب نزول الآية الكريمة، بل هو من قبيل تفسير الآية بالحديث.

قال الشيخ محمد رشيد رضا:

لَيْسَ فِي هَذِهِ الرِّوَايَاتِ ذِكْرُ الآيَةِ وَلَكِنَّ الْحَدِيثَ فِي الْمَقَامِ; فَإِنَّهُمْ كَانُوا يَرْفَعُونَ

---

(١) "الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة" لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، ت: ٧٤٨هـ، ٢/ ٣٥٥، ط/ دار القبلة، جدة، تحقيق: محمد عوامة.

(٢) "مفاتيح الغيب" للرازي، ٥/ ٢٦٠. وهذا الحديث أخرجه الإمام البخاري في "صحيح البخاري" كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، ٥/ ١٣٣ رقم ٤٢٠٥. والإمام مسلم في "صحيح مسلم" كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، بَابُ اسْتِحْبَابِ خَفْضِ الصَّوْتِ بِالذِّكْرِ، ٤/ ٢٠٧٦ رقم ٢٧٠٤.

📖 وذكر هذا السبب من المفسرين: الإمام ابن عادل في "اللباب في علوم الكتاب" (٣/ ٢٩٣)، والإمام النيسابوري في "غرائب القرآن ورغائب الفرقان" (١/ ٥٠٥)، والشيخ محمد رشيد رضا في "تفسير المنار" (٢/ ١٣٤)، والإمام المراغي في "تفسير المراغي" (٢/ ٧٥). والدكتور وهبة الزحيلي في "التفسير المنير" (٢/ ١٥١).

أَصْوَاتَهُمْ بِالتَّكْبِيرِ الْمَأْمُورِ بِهِ فِي الآيَةِ السَّابِقَةِ فَدَلَّتِ الآيَةُ عَلَى مَا صَرَّحَ بِهِ الْحَدِيثُ مِنَ النَّهْيِ، فَكَانَ الْحَدِيثُ تَفْسِيرًا لَهَا بَلْ هُوَ عَمَلٌ بِهَا.(١)

السبب الثامن:

قال الإمام الرازي: ذَكَرُوا فِي سَبَبِ نُزُولِ هَذِهِ الآيَةِ وُجُوهًا أَحَدُهَا: مَا رُوِيَ عَنْ كَعْبٍ أَنَّهُ قَالَ، قَالَ مُوسَى عليه السلام: يَا رَبِّ أَقَرِيبٌ أَنْتَ فَأُنَاجِيكَ، أَمْ بَعِيدٌ فَأُنَادِيكَ؟ فَقَالَ: يَا مُوسَى أَنَا جَلِيسُ مَنْ ذَكَرَنِي، قَالَ: يَا رَبِّ فَإِنَّا نَكُونُ عَلَى حَالَةٍ نَجِلُّكَ أَنْ نَذْكُرَكَ عَلَيْهَا مِنْ جَنَابَةٍ وَغَائِطٍ، قَالَ: يَا مُوسَى اذْكُرْنِي عَلَى كُلِّ حَالٍ، فَلَمَّا كَانَ الأَمْرُ عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ رَغَّبَ اللهُ تَعَالَى عِبَادَهُ فِي ذِكْرِهِ وَفِي الرُّجُوعِ إِلَيْهِ فِي جَمِيعِ الأَحْوَالِ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى هَذِهِ الآيَةَ.(٢)

📖 قلت: هذا الحديث رجاله ثقات إلى كعب الأحبار، وهو من كبار التابعين

---

(١) "تفسير المنار" لمحمد رشيد رضا، ت: ١٣٥٤هـ، ٢/ ١٣٤، ط/ الهيئة المصرية العامة للكتاب.

(٢) "مفاتيح الغيب" للرازي، ٥/ ٢٦٠. وهذا الحديث أخرجه الإمام ابن أبي شيبة في "مصنفه" (كتاب الطهارة، الرجل يذكر الله وهو عَلَى الْخَلاَءِ أَوْ هُوَ يُجَامِعُ، ١/ ١٠٨ رقم ١٢٢٤) قائلا: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ عَطَاءٍ، عَنْ أَبِي هَارُونَ الأَسْلَمِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ كَعْبٍ قَالَ: " قَالَ مُوسَى عليه السلام: أَيْ رَبِّ، أَقَرِيبٌ أَنْتَ فَأُنَاجِيكَ، أَمْ بَعِيدٌ فَأُنَادِيكَ؟ قَالَ: يَا مُوسَى، أَنَا جَلِيسُ مَنْ ذَكَرَنِي، قَالَ: يَا رَبِّ فَإِنَّا نَكُونُ مِنَ الْحَالِ عَلَى حَالٍ نُعَظِّمُكَ أَوْ نُجِلُّكَ أَنْ نَذْكُرَكَ عَلَيْهَا، قَالَ: وَمَا هِيَ؟ قَالَ: الْجَنَابَةُ وَالْغَائِطُ قَالَ: يَا مُوسَى اذْكُرْنِي عَلَى كُلِّ حَالٍ. وأخرجه أيضا الإمام أحمد في "الزهد" ص٨٦، ط/ دار الكتب العلمية. والإمام أبو نعيم الأصبهاني في "حلية الأولياء" ٦/ ٤٢، ط/ دار السعادة. والإمام البيهقي في "شعب الإيمان" ٢/ ١٧١ رقم ٦٧٠. والإمام ابن عساكر في "تاريخ دمشق" ٦١/ ١١٥.

معروف بالأخذ عن أهل الكتاب، ومع ذلك فليس في روايات الحديث ذكر الآية الكريمة، بل إن الآية الكريمة نزلت بعد تلك الرواية بقرون، فالرواية في عهد نبي الله موسى عليه السلام، فلا يعد الحديث من قبيل سبب نزول الآية الكريمة، بل هو من قبيل تفسير الآية بالحديث.

هذا ما وقفت عليه من أسباب نزول للآية الكريمة ذكرها المفسرون، والخلاصة أن الآية الكريمة لا يصح فيها سبب نزول خاص، ومعلوم أن نزول القرآن على قسمين: قسم نزل ابتداء، وقسم نزل عقب واقعة أو سؤال، والآية الكريمة من القسم الأول.

المبحث الثالث

بيان المعاني اللغوية لمفردات الآية الكريمة

﴿إِذَا﴾: ظرف لما يستقبل من الزمان، مبنية على السكون في محل نصب، متضمنة معنى الشرط، خافضة لشرطها، متعلقة بجوابها، يكثر مجيء الفعل الماضي بعدها مرادا به الاستقبال، ومع تضمنها معنى الشرط لم يجزم بها لمخالفتها (إن) الشرطية، وذلك لأن الأصل في استعمال (إذا) أنها تدخل على ما تُيُقِّنَ وجوده كقوله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾(١)، أو رُجِّح نحو: آتيك إذا دعوتني، بخلاف (إن) فإنها تأتي مع الممكن وجوده كقوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾(٢)، أو المستحيل كقوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ﴾(٣).(٤)

---

(١) سورة الزلزلة: ١.

(٢) سورة الأنفال: ٣٨.

(٣) سورة الزخرف: ٨١.

(٤) ينظر: "التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل" لأبي حيان الأندلسي، ت: ٧٤٥هـ، ٧/ ٣٠٩، ٣١٠، ط/ دار كنوز إشبيليا، تحقيق: حسن هنداوي. "الجنى الداني في حروف المعاني" لأبي محمد حسن بن قاسم المرادي، ت: ٧٤٩هـ، ص٣٦٧، ٣٦٩، ط/ دار الكتب العلمية، تحقيق: فخر الدين قباوة. "مغني اللبيب عن كتب الأعاريب" لأبي محمد عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري، ت: ٧٦١هـ، ١/ ١٢٥، ٢/ ٧١، ط/ التراث العربي، الكويت، تحقيق: عبد اللطيف الخطيب. "دراسات لأسلوب القرآن الكريم" لمحمد عبد الخالق عضيمة، ت: ١٤٠٣هـ، ١/ ١٦٩، ط/ دار الحديث.

قوله تعالى: ﴿سَأَلَكَ﴾: سَأَلَ يَسْأَلُ سُؤَالا وسَآلَةً ومَسْأَلةً وتَسْآلا وسَأَلَةً، وَقَدْ يُخَفَّفُ فَيُقَالُ: سالَ يَسَال، قال الزجاج: يُقَال: سَأَلْتُ أسأَل وَسلْتُ أَسَلُ، والرَّجُلانِ يَتَساءَلان ويَتَسايَلان. والأَمر مِنْهُ سَلْ، وَاسْأَل، والسُّؤْلُ: مَا يَسْأَلُهُ الإنْسَانُ، والسُّؤالُ: اسْتِدْعاءُ مَعْرِفَةٍ، أَو مَا يُؤَدِّي إِلَى المَعْرِفَةِ، واسْتِدْعاءُ الْمَعْرِفةِ جَوابهُ عَلى اللِّسانِ، والْيَدُ خَلِيفَةٌ لهُ بالكِتابَةِ أَو الإِشَارَةِ، واسْتِدْعاءُ المالِ جَوابُهُ على الْيَدِ، واللِّسانُ خَلِيفَةٌ لَها، إِمَّا بِوَعْدٍ، أَو بِرَدٍّ، والسُّؤَالُ إِذا كانَ لِلتَّعْرِيفِ يُعَدَّى إِلَى المَفْعُولِ الثَّانِي، تَارَةً بِنَفْسِهِ، وتَارَةً بِالْجَارِّ، تَقولُ سَأَلْتُهُ كَذا، وَعَن كَذَا وبِكَذا، وبِعن أَكْثَرَ، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾، وإِذا كانَ لاسْتِدْعاءِ مالٍ، فإِنَّهُ يُعَدَّى بنَفْسِهِ، أَو بِمِنْ، ويقال: سَأَلْتُهُ الشَّيْءَ: اسْتَعْطَيْتُهُ إِيَّاهُ، -أي: طَلَبتُ من أن يعطيَه إياه-، وسَأَلْتُهُ عَن الشَّيْءِ: اسْتَخْبَرْتُهُ عنه، واستَعْلَمْتُه عنه.(١)

قوله تعالى: ﴿عِبَادِى﴾: العَبْد: الإنْسَان حُرّا كَانَ أَو رَقيقا، يُذْهَبُ بذلك إِلَى أَنه مَرْبوبٌ لِباريه جَلَّ وعزّ، يقال: عبَدَ يَعبُد، عِبادةً وعُبُوديَّةً، فهو عابِد، وَيُقَالُ لِلْمُشْرِكِينَ هُمْ عَبَدَةُ الطَّاغُوتِ، وَيُقَالُ لِلْمُسْلِمِينَ عِبادُ اللهِ يَعْبُدُونَ اللهَ، وَالْعَابِدُ: المُوَحِّدُ، وأَصل

(١) ينظر: "معاني القرآن وإعرابه" لأبي إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج، ت: ٣١١هـ، ٥/ ٢١٩، ط/ عالم الكتب، تحقيق: عبد الجليل شلبي. "الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية" لأبي نصر إسماعيل بن حماد الفارابي، ت: ٣٩٣هـ، باب اللام فصل السين مادة سأل، ٥/ ١٧٢٣، ط/ دار العلم للملايين، تحقيق: أحمد عطار. "المفردات في غريب القرآن" لأبي القاسم الحسين بن محمد، المعروف بالراغب الأصفهاني، ص٤٣٧، ط/ دار القلم، تحقيق: صفوان الداودي. "لسان العرب" لأبي الفضل محمد بن مكرم بن منظور، ت: ٧١١هـ، حرف اللام فصل السين المهملة مادة سأل، ١١/ ٣١٨، ط/ دار صادر.

العُبودِيَّة: الخُضوع والتذلُّل، وَمعنى الْعِبَادَة فِي اللُّغَة: الطَّاعَة مَعَ الخضوع، وَيُقَال طريقٌ مُعَبَّدٌ إِذا كَانَ مذلَّلاً بِكَثْرَة الْوَطْء، ويقال: عَبَدْتُ اللهَ أَعْبُدُهُ عِبَادَةً وَهِيَ: الانْقِيَادُ وَالْخُضُوعُ.(١)

قوله تعالى: ﴿قَرِيبٌ﴾: الْقَافُ وَالرَّاءُ وَالْبَاءُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى خِلافِ الْبُعْدِ، يُقَالُ قَرُبَ الشيءُ، بِالضَّمِّ، يَقْرُبُ قُرْبـًا وقُرْبانـًا وقِرْبانـًا أَي دَنا، فَهُوَ قريبٌ، الْوَاحِدُ وَالاثْنَانِ وَالْجَمِيعُ فِي ذَلِكَ سَوَاءٌ، قال الراغب الأصفهاني: الْقُرْبُ والبعد يتقابلان، يقال: قَرُبْتُ منه أَقْرُبُ، وقَرَّبْتُهُ أُقَرِّبُهُ قُرْبـًا وقُرْبَانـًا، ويستعمل ذلك في المكان، وفي الزمان، وفي النّسبة، وفي الحظوة، والرّعاية، والقدرة، فمن الأوّل –أي المكان– نحو: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾(٢)، وفي الزّمان نحو: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾(٣)، وفي النّسبة نحو: ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ﴾(٤)، وفي الحظوة: ﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ

(١) ينظر: "تهذيب اللغة" لأبي منصور محمد بن أحمد الهروي، ت: ٣٧٠هـ، أبواب العين والدال، باب العين والدال مع الباء، ٢/ ١٣٨، ط/ دار إحياء التراث العربي، تحقيق: محمد عوض. "الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية" للفارابي، باب الدال فصل العين مادة عبد، ٢/ ٥٠٣. "المحكم والمحيط الأعظم" لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده، ت: ٤٥٨هـ، حرف العين مقلوبه: (ع ب د)، ٢/ ٢٥، ط/ دار الكتب العلمية، تحقيق: عبد الحميد هنداوي. "لسان العرب" لابن منظور، حرف الدال فصل العين المهملة مادة عبد، ٣/ ٢٧١.

(٢) سورة البقرة: ٣٥.

(٣) سورة الأنبياء: ١.

(٤) سورة النساء: ٨.

ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾[1]، وفي الرّعاية نحو: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[2]، وفي القدرة نحو: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾[3].[4]

قوله تعالى: ﴿أُجِيبُ﴾: أَجابَ يُجِيبُ إِجَابَةً وَإِجَابًا وجَواباً وَجَابَةً، فهو مجيب، ومن أسماء الله الحسنى: المجيب، وَهُوَ الَّذِي يُقابِلُ الدُّعاءَ والسُّؤَال بالعَطاءِ والقَبُول. والإِجابةُ: رَجْعُ الْكَلامِ، تَقُولُ: أَجابَ عَنْ سُؤَاله، وأجاب سؤالَه، وأجاب على سؤاله: ردّ عليه وأفاده عمّا سأل. والإِجابةُ والاستِجابةُ، بِمَعْنًى، يُقَالُ: أجاب طَلَبَه، وأجابه إلى حاجته: قَبله وقضى حَاجته، استجاب له، لبّاه، فيكون (استفعل) بمعنى (أفعل).[5]

قال الإمام ابن عاشور: وَاسْتَجَابَ وَأَجَابَ بِمَعْنًى وَاحِدٍ، وَأَصْلُ أَجَابَ وَاسْتَجَابَ

---

(١) سورة الأعراف: ١١٤.

(٢) سورة الأعراف: ٥٦.

(٣) سورة ق: ١٦.

(٤) ينظر: "مقاييس اللغة" لأبي الحسين أحمد بن فارس، ت: ٣٩٥هـ، كتاب القاف بابُ الْقَافِ وَالرَّاءِ وَمَا يَثْلُثُهُمَا مادة قَرَبَ، ٥/ ٨٠، ط/ دار الفكر، تحقيق: عبد السلام هارون. "المفردات في غريب القرآن" للراغب الأصفهاني، ص٦٦٣، ٦٦٤. "لسان العرب" لابن منظور، حرف الباء فصل القاف مادة قرب، ١/ ٦٦٢.

(٥) ينظر: "المحكم والمحيط الأعظم" لابن سيده، حرف الجيم مقلوبه: (ج و ب)، ٧/ ٥٦٨. "لسان العرب" لابن منظور، حرف الباء فصل الجيم مادة جوب، ١/ ٢٨٣. "معجم اللغة العربية المعاصرة" لأحمد مختار عمر، ت: ١٤٢٤هـ، بمساعدة فريق عمل، ١٢٦١ـ ج و ب، ط/ عالم الكتب.

أَنَّهُ الإِقْبَالُ عَلَى الْمُنَادِي بِالْقُدُومِ، أَوْ قَوْلٌ يَدُلُّ عَلَى الاسْتِعْدَادِ لِلْحُضُورِ نَحْوَ (لَبَّيْكَ)، ثُمَّ أُطْلِقَ مَجَازًا مَشْهُورًا عَلَى تَحْقِيقِ مَا يَطْلُبُهُ الطَّالِبُ، لأَنَّهُ لَمَّا كَانَ بِتَحْقِيقِهِ يَقْطَعُ مَسْأَلَتَهُ فَكَأَنَّهُ أَجَابَ نِدَاءَهُ. -وعليه فالسين والتاء للتأكيد-، وقيل: الاستجابة: طلب الإجابة، فيكون (استفعل) -على بابه- قد جاءت بمعنى الطلب، كاستغفر.(١)

وقال الإمام السمين الحلبي: قوله: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي﴾ في الاستفعالِ هنا قولان، أحدُهما: أنَّه للطلب على بابِه، والمعنى: فَلْيَطْلبُوا إجابتي، قاله ثعلب، والثاني: أنه بمعنى الإفعال، فيكون استفعل وأَفْعَل بمعنىً، وقد جاءَتْ منه ألفاظٌ نحو: أقرَّ واستقرَّ؛ وأبَلَّ المريضُ واسْتَبَلَّ، وأحصدَ الزرعُ واستحصد، واستثار الشيء وأثارَه، واستعجله وأَعْجَله، ومنه استجابَهُ وأجَابَهُ، وإذا كان استفعل بمعنى أَفْعَل فقد جاء متعدِّيًا بنفسه وبحرف الجرِّ، إلا أنه لم يَرِدْ في القرآن إلاَّ مُعَدَّىً بحرف الجرِّ نحو: ﴿فاستجبنا لَهُ﴾.(٢)

﴿ قوله تعالى: ﴿دَعْوَةَ﴾: دَعَا يَدْعُو دَعْوة ودُعَاءً وَدَعْوى، فهو داع، واسم المفعول مدعو، والدعاء: الرَّغْبَةُ إِلَى اللهِ تَعَالَى فيمَا عنْدَه مِن الخيْرِ والابْتِهال إِلَيْهِ بالسُّؤَالِ، والدعوة مفرد جمعها دَعَوَات ودعْوات، وهي اسم مرة من دعا، قال تعالى: ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ﴾، وقال النبي ﷺ: «اتَّقِ دَعْوَةَ المَظْلُومِ، فَإِنَّهَا لَيْسَ بَيْنَهَا

(١) "التحرير والتنوير" للطاهر بن عاشور، ٢/ ١٨٠.

(٢) "الدر المصون في علوم الكتاب المكنون" لأبي العباس، أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي، ت: ٧٥٦هـ، ٢/ ٢٩١، ط/ دار االقلم، تحقيق: أحمد الخراط.

وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ»[1]، ودعا اللهَ: سأَله حاجَتَه واستغاث به وتضرَّع إليه، قال تعالى: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾[2]، ودَعا الرجلَ دَعْواً ودُعَاءً: نَادَاهُ، وَالاسْمُ الدَّعْوَة، ودَعَوْت فُلانًا أَي: صِحْت بِهِ واسْتَدْعَيْته.[3]

قوله تعالى: ﴿يَرْشُدُونَ﴾: رَشَد الإنسان، بِالْفَتْحِ، يَرْشُد رُشْداً، بِالضَّمِّ، ورَشِد، بِالْكَسْرِ، يَرْشَد رَشَداً ورَشاداً، فَهُوَ راشِد ورَشيد، وَهُوَ نَقِيضُ الغي والضَّلالِ، إِذا اهتدى وأَصاب وَجْهَ الأَمر وَالطَّرِيقِ فقد رشد، والرُّشْد: الاستقامةُ على طَرِيق الحَقِّ مَعَ تَصَلُّبٍ فِيهِ، والرشاد: الهدى والاستقامة، ورشَد الشَّخصُ أمرَه: وُفِّق فيه، وأَرشَدَه اللهُ وأَرشَدَه إِلى الأَمر ورشَّده: هَدَاهُ، واستَرْشَده: طَلَبَ مِنْهُ الرُّشْدَ، وَيُقَالُ: استَرْشَد فُلانٌ لأَمره إِذا اهْتَدَى لَهُ، والإِرْشادُ: الْهِدَايَة والدِّلالَة، والمَراشِدُ: مقاصِدُ الطُّرُق، والرَّشيدُ فِي صِفَات

(١) "**صحيح البخاري**" كِتَاب المَظَالِمِ وَالغَصْبِ- بَابُ الِاتِّقَاءِ وَالحَذَرِ مِنْ دَعْوَةِ المَظْلُومِ، ٣/ ١٢٩، رقم ٢٤٤٨. "**صحيح مسلم**" كتاب الإيمان- باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام- ١/ ٥٠، رقم ١٩.

(٢) سورة آل عمران: ٣٨.

(٣) ينظر: "تهذيب اللغة" للهروي، باب العين والدال، ٣/ ٧٧. "المحكم والمحيط الأعظم" لابن سيده، العين والدال والواو مقلوبه: (د ع و)، ٢/ ٣٢٥. "لسان العرب" لابن منظور، باب الواو والياء مع المعتل، فصل الدال المهملة، دعا، ١٤/ ٢٥٨. "تاج العروس من جواهر القاموس" لأبي الفيض محمد بن محمد الزبيدي، ت: ١٢٠٥هـ، باب الواو والياء، فصل الدال مع الواو والياء، مادة دعو، ٣٨/ ٤٦، ط/ دار الهداية. "معجم اللغة العربية المعاصرة" لأحمد مختار عمر، ١٨٠٣-د ع و.

الله تَعَالَى: الْهَادِي إِلى سَواءِ الصِّراط، فَعيل بِمَعْنى مُفْعِل.(١)

(١) ينظر: "تهذيب اللغة" للهروي، أبواب الشين والدال، ١١/ ٢٢٠. "الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية" للفارابي، باب الدال فصل الراء مادة رشد، ٢/ ٤٧٤. "المحكم والمحيط الأعظم" لابن سيده، حرف الشين مقلوبه: (ر ش د)، ٨/ ٢٦. "لسان العرب" لابن منظور، حرف الدال فصل الراء مادة رشد، ٣/ ١٧٥. "تاج العروس" للزبيدي، باب الدال المهملة، فصل الراء مع الدال المهملة، رشد، ٨/ ٩٥، ٩٦. "معجم اللغة العربية المعاصرة" لأحمد مختار عمر، بمساعدة فريق عمل، ٢١٠٧ـ ر ش د.

المبحث الرابع

الشرح والبيان

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾:

❖ الواو استئنافية، والآية الكريمة معطوفة على الجمل المتعاطفة قبلها في قوله تعالى: ﴿وَلِتُكْمِلُواْ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾، **قال الإمام ابن عاشور**: الْجُمْلَةُ مَعْطُوفَةٌ عَلَى الْجُمَلِ السَّابِقَةِ الْمُتَعَاطِفَةِ أَيْ: لِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ، وَلِتُكَبِّرُوا، وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ.(١)

❖ والاستئناف هنا بياني فبعدما أمر الله الصائمين بما يجب عليهم من إكمال العدة والتكبير والشكر، كأن سائلا سأل فهل لهم من جزاء على ذلك؟ ، فبين الله عز وجل قربه منهم واستجابته لدعائهم وعلمه بجميع أحوالهم، أو يقال: كأن سائلا سأل أيكون التكبير والشكر برفع الصوت أم بالمناجاة؟ ، فبين الله أنه قريب من عباده، مطلع على ذكرهم وشكرهم، يسمع نداءهم، ويجيب دعاءهم، ولا يخيب رجاءهم.

قال الشيخ محمد رشيد رضا: الآيَة جَاءَتْ بَيْنَ آيَاتِ الصِّيَامِ، فَهِيَ لَيْسَتْ بِأَجْنَبِيَّةٍ مِنْهَا وَإِنَّمَا هِيَ مُتَّصِلَةٌ بِمَا قَبْلَهَا مِنَ الأَحْكَامِ، فَقَدْ طَالَبَنَا فِي الآيَةِ السَّابِقَةِ بِإِكْمَالِ عِدَّةِ الصِّيَامِ وَبِتَكْبِيرِ اللهِ تَعَالَى، وَذَكَرَ أَنَّ ذَلِكَ يُعِدُّنَا لِشُكْرِهِ تَعَالَى، وَالتَّكْبِيرُ وَالشُّكْرُ يَكُونَانِ بِالْقَوْلِ نَحْوَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ وَاللهُ أَكْبَرُ، كَمَا يَكُونَانِ بِالْعَمَلِ، وَمَا كَانَ بِالْقَوْلِ يَأْتِي فِيهِ السُّؤَالُ: هَلْ يَكُونُ بِرَفْعِ الصَّوْتِ وَالْمُنَادَاةِ، أَمْ بِالْمُخَافَتَةِ وَالْمُنَاجَاةِ، فَجَاءَتْ هَذِهِ الآيَةُ جَوَابًا عَنْ

(١) "التحرير والتنوير" لابن عاشور، ٢/ ١٧٨.

هَذَا السُّؤَالِ الَّذِي يُتَوَقَّعُ إِنْ لَمْ يَقَعْ، فَهِيَ فِي مَحَلِّهَا سَوَاءٌ صَحَّ مَا رَوَوْهُ فِي سَبَبِهَا أَمْ لا.[1]

وقال الإمام ابن عاشور: نَظْمُ الآيَةِ مُؤْذِن بِأَنَّ اللهَ تَعَالَى بَعْدَ أَنْ أَمَرَهُمْ بِمَا يَجِبُ لَهُ عَلَيْهِمْ أَكْرَمَهُمْ فَقَالَ: وَإِذَا سَأَلُوا عَنْ حَقِّهِمْ عَلَيَّ فَإِنِّي قَرِيبٌ مِنْهُمْ أُجِيبُ دَعْوَتَهُمْ، وَجُعِلَ هَذَا الْخَيْرُ مُرَتَّبًا عَلَى تَقْدِيرِ سُؤَالِهِمْ إِشَارَةً إِلَى أَنَّهُمْ يَهْجِسُ هَذَا فِي نُفُوسِهِمْ بَعْدَ أَنْ يَسْمَعُوا الأَمْرَ بِالإِكْمَالِ وَالتَّكْبِيرِ وَالشُّكْرِ أَنْ يَقُولُوا: هَلْ لَنَا جَزَاءً عَلَى ذَلِكَ؟.[2]

واستعمال الشرط مع السؤال للاهتمام والاعتناء بالسؤال والجواب، وتنبيها للأذهان، لذا نجد العلماء يستفتحون المسائل الهامة بالسؤال ثم الجواب، وذلك في قولهم: فإن قلت:... ؟ ، قلت:... ، **قال الشيخ محمد رشيد رضا**: وَجُعِلَتْ بِأُسْلُوبِ الْفَتْوَى عَلَى تَقْدِيرِ السُّؤَالِ لِتَنْبِيهِ الأَذْهَانِ.[3]، **وقال الإمام ابن عاشور**: وَاسْتِعْمَالُ مِثْلِ هَذَا الشَّرْطِ مَعَ مَادَّةِ السُّؤَالِ لِقَصْدِ الاهْتِمَامِ بِمَا سَيُذْكَرُ بَعْدَهُ اسْتِعْمَالٌ مَعْرُوفٌ عِنْدَ الْبُلَغَاءِ، قَالَ عَلْقَمَةُ[4]:

---

(١) "تفسير المنار" لمحمد رشيد رضا، ٢/ ١٣٤.

(٢) "التحرير والتنوير" لابن عاشور، ٢/ ١٧٨. بتصرف يسير

(٣) "تفسير المنار" لمحمد رشيد رضا، ٢/ ١٣٤.

(٤) علقمة بن عَبَدة بن ناشرة بن قيس، -يقال له علقمة الفحل- من بني تميم، شاعر جاهلي، من الطبقة الأولى، كان معاصرا لامرئ القيس، وله معه مساجلات، وله ديوان شعر، توفي نحو ٢٠ قبل الهجرة. ينظر: "المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم" لأبي القاسم الحسن بن بشر الآمدي، ت: ٣٧٠هـ، ص١٩٨، ط/ دار الجيل. "الأعلام" لخير الدين محمود بن محمد الزركلي، ت: ١٣٩٦هـ، ٤/ ٢٤٧، ط/ دار العلم للملايين.

فَإِنْ تَسْأَلُونِي بِالنِّسَاءِ فَإِنَّنِي خَبِيرٌ بِأَدْوَاءِ النِّسَاءِ طَبِيبُ[1]

وَالْعُلَمَاءُ يَفْتَتِحُونَ الْمَسَائِلَ الْمُهِمَّةَ فِي كُتُبِهِمْ بِكَلِمَةِ (فَإِنْ قُلْتَ) وَهُوَ اصْطِلاحُ «الْكَشَّافِ».[2]

﴿ قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ﴾: الخطاب للنبي ﷺ تشريفا له وتعظيما لقدره ورفعة لمحله، **قال الإمام أبو السعود**: في تلوينِ الخطابِ وتوجيهِه إلى رسول الله ﷺ ما لا يَخفْى من تشريفِه ورفعِ محله.[3] **وقال الإمام الألوسي**: في تلوين الخطاب مع توجيهه لسيد ذوي الألباب عليه الصلاة والسلام، ما لا يخفى من التشريف ورفع المحل.[4]

❋ وفي الجملة الكريمة التفات من خطاب المؤمنين إلى خطاب الرسول ﷺ وحده اهتماما واعتناءً بالمخاطب به، وتشريفا للنبيﷺ، ولأنه ﷺ في مقام التبليغ، قال الإمام ابن عاشور: الْتَفَتَ إِلَى خِطَابِ النبي ﷺ وَحْدَهُ لأَنَّهُ فِي مَقَامِ تَبْلِيغٍ، وَمُقْتَضَى الظَّاهِرِ أَنْ يُقَالَ: وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ وَتَدْعُونِ فَأَسْتَجِيبُ لَكُمْ، إلا أَنَّهُ عَدَلَ عَنْهُ لِيَحْصُلَ فِي

(١) "ديوان علقمة الفحل" بشرح الأعلم الشنتمري، ص٣٥، ط/ دار الكتاب العربي، تحقيق: لطفي الصقال، ورية الخطيب.

(٢) "التحرير والتنوير" لابن عاشور، ٢/ ١٧٨.

(٣) "إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم" لأبي السعود العمادي، ت: ٩٨٢هـ، ١/ ٢٠٠، ط/ دار إحياء التراث.

(٤) "روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني" لشهاب الدين محمود بن عبد الله الألوسي، ت: ١٢٧٠هـ، ١/ ٤٦٠، ط/ دار الكتب العلمية، تحقيق: علي عطية.

خِلالِ ذَلِكَ تَعْظِيمُ شَأْنِ النبي ﷺ بِأَنَّهُ يَسْأَلُهُ الْمُسْلِمُونَ عَنْ أَمْرِ اللهِ تَعَالَى.(١)

❋ والمتأمل في مادة السؤال في القرآن الكريم المخاطب بها النبي ﷺ يجد أن الله خاطب نبيه بها في ستة عشر موضعا كلها بصيغة المضارع، خاطبه بقوله: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾ في ثلاثة عشر موضعا، وبقوله: ﴿يَسْـَٔلك﴾ في موضعين، والموضع الوحيد الذي أتى بصيغة الماضي ودخل عليه الشرط فأراد به الاستقبال هو هذا الموضع الذي نحن بصدد تفسيره، وهذا لواسع رحمة الله بعباده وحثا وترغيبا لهم لدعائه واستشعار قربه منهم ابتدأ سبحانه هو بالسؤال وبادر بالإجابة قبل أن يسأل المؤمنون.

❋ ويجد المتأمل أيضا أن الجواب جاء في كل المواضع أمرا من الله لنبيه ليبلغ العباد؛ (قل)، كقوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ﴾(٢)، وكقوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ﴾(٣)، إلا في هذا الموضع أيضا لم يأت على غرار المواضع الأخرى بل قال الله تعالى: ﴿فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ﴾، فالله تكفل بالإجابة بنفسه للدلالة على عدم الوسطاء بين العباد وربهم في هذا المقام الرفيع مقام قربه من عباده واستجابته لدعائهم، وتنبيها على شدة قرب العباد من ربهم في مقام الدعاء، وهذا من كمال لطفه سبحانه بعباده، **قال الإمام الرازي**: قَوْلُهُ: ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ﴾ وَلَمْ يَذْكُرْ فِي جَوَابِهِ (قُلْ): يَدُلُّ عَلَى تَعْظِيمِ حَالِ الدُّعَاءِ وَأَنَّهُ مِنْ أعظم العبادات، فكأنه سبحانه قال: يا عبدي أَنْتَ إِنَّمَا تَحْتَاجُ إِلَى الْوَاسِطَةِ فِي غَيْرِ الدُّعَاءِ أَمَّا

(١) ينظر: "التحرير والتنوير" لابن عاشور، ٢/ ١٧٨.

(٢) سورة البقرة: جزء من الآية ١٨٩.

(٣) سورة الأحزاب: جزء من الآية ٦٣.

فِي مَقَامِ الدُّعَاءِ فَلا وَاسِطَةَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ.(١)، و**قال الإمام الألوسي**: ولم يصرح بالمقدر كما في أمثاله للإشارة إلى أنه تعالى تكفل جوابهم ولم يكلهم إلى رسوله ﷺ تنبيها على كمال لطفه.(٢)، **وقال الإمام ابن عاشور**: وَإِنَّمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ وَلَمْ يَقُلْ: فَقُلْ لَهُمْ إِنِّي قَرِيبٌ إِيجَازًا لِظُهُورِهِ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي﴾، وَتَنْبِيهًا عَلَى أَنَّ السُّؤَالَ مَفْرُوضٌ غَيْرُ وَاقِعٍ مِنْهُمْ بِالْفِعْلِ، وَفِيهِ لَطِيفَةٌ قُرْآنِيَّةٌ وَهِيَ إِيهَامٌ أَنَّ اللهَ تَعَالَى تَوَلَّى جَوَابَهُمْ عَنْ سُؤَالِهِمْ بِنَفْسِهِ إِذْ حَذَفَ فِي اللَّفْظِ مَا يَدُلُّ عَلَى وَسَاطَةِ النبي ﷺ تَنْبِيهًا عَلَى شِدَّةِ قُرْبِ الْعَبْدِ مِنْ رَبِّهِ فِي مَقَامِ الدُّعَاءِ.(٣)، **وقال الإمام محمد سيد طنطاوي**: ولم يصدر الجواب بقل أو فقل كما وقع في أجوبة مسائلهم الواردة في آيات أخرى، نحو: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا﴾(٤) بل تولى سبحانه جوابهم بنفسه إشعاراً بفرط قربه منهم، وحضوره مع كل سائل بحيث لا تتوقف إجابته على وجود واسطة بينه وبين السائلين من ذوي الحاجات.(٥)

قوله تعالى: ﴿عِبَادِي﴾: **قال الإمام أبو حيان**: ﴿عِبَادِي﴾ ظَاهِرُهُ الْعُمُومُ، وَقِيلَ: أُرِيدَ بِهِ الْخُصُوصُ: إِمَّا الْيَهُودُ وَإِمَّا الْمُؤْمِنُونَ عَلَى الْخِلافِ فِي السَّبَبِ.(٦)، قلت:

---

(١) "مفاتيح الغيب" للرازي، ٢٢/ ٣٣، ٣٤. بتصرف

(٢) "روح المعاني" لشهاب الدين الألوسي، ١/ ٤٦٠.

(٣) "التحرير والتنوير" لابن عاشور، ٢/ ١٧٩.

(٤) سورة طه: ١٠٥.

(٥) "التفسير الوسيط للقرآن الكريم" لمحمد سيد طنطاوي، ت: ١٤٣١هـ، ١/ ٣٩١، ط/ دار نهضة مصر.

(٦) "البحر المحيط" لأبي حيان، ٢/ ٢٠٥.

والذي تميل إليه النفس أنهم العباد الذين خاطبهم الله عز وجل في الآيات قبلها وبعدها، فهم المُحَدَّث عنهم، وإدخال الكلام في معنى ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عنهما إلا بدليل يجب التسليم له، ولم يصح دليل في سبب نزول الآية حتى نخرج بالآية عما قبلها وبعدها، **قال الإمام ابن عاشور**: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي﴾ أَيِ: الْعِبَادَ الَّذِينَ كَانَ الْحَدِيثُ مَعَهُمْ.(١)، وقال أيضا: وَالْعِبَادُ الَّذِينَ أُضِيفُوا إِلَى ضَمِيرِ الْجَلالَةِ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ لأَنَّ الآيَاتِ كُلَّهَا فِي بَيَانِ أَحْكَامِ الصَّوْمِ وَلَوَازِمِهِ وَجَزَائِهِ وَهُوَ مِنْ شِعَارِ الْمُسْلِمِينَ.(٢)، **وقال الإمام محمد سيد طنطاوي**: والمراد بالعباد الذين أضيفوا إلى ضمير الجلالة هم المؤمنون لأن الحديث عنهم، ولأن سياق الآيات بيان أحكام الصوم وفضائله وهو خاص بالمؤمنين.(٣)

❁ والياء في قوله: ﴿عِبَادِي﴾ ياء المتكلم الراجعة إلى الله جل وعلا، أضاف الله العباد إليه تشريفا لهم وتكريما، **قال الإمام محمد سيد طنطاوي**: وقد أضيفوا إلى ضمير الجلالة لتشريفهم وتكريمهم.(٤)، وعبر عنهم بلفظ العبودية لرفعة هذا الوصف الذي خلق الله الثقلين من أجله، فهو تعبير عنهم بوصف رفيع في مقام رفيع، وقد وصف الله أنبياءه عليهم السلام به لعلو هذه المنزلة عنده سبحانه، فقال في حق نوح عليه السلام: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾(٥)، وقال في حق زكريا عليه السلام:

---

(١) "التحرير والتنوير" لابن عاشور، ٢/ ١٧٨.

(٢) "التحرير والتنوير" لابن عاشور، ٢/ ١٧٩.

(٣) "التفسير الوسيط" لمحمد سيد طنطاوي، ١/ ٣٩١.

(٤) "التفسير الوسيط" لمحمد سيد طنطاوي، ١/ ٣٩١.

(٥) سورة الإسراء: ٣.

﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ﴾(١)، وقال في حق داود عليه السلام: ﴿ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾(٢)، وفي حق ابنه سليمان عليه السلام: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾(٣)، وقال في حق أيوب عليه السلام: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾(٤)، وقال في حق إبراهيم وإسحاق ويعقوب: ﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ﴾(٥)، وقال في حق نبينا محمد: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾(٦).

قوله تعالى: ﴿عَنِّى﴾: متعلق بـ ﴿سَأَلَكَ﴾، والضمير فيها لله تعالى، وفيها التفات من الغيبة إلى المتكلم، لأنه سبق في الآية قبلها: ﴿وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ﴾، فكان مقتضى الظاهر أن يقال: عن الله، ولكنه التفت اهتماما واعتناء، وليستحضر العبد دائما قرب الله منه، فهو القريب سبحانه جل وعلا، قال الإمام أبو حيان: وَأَمَّا ﴿عِبَادِى﴾، وَ﴿عَنِّى﴾، فَالضَّمِيرُ فِيهِ لِلَّهِ تَعَالَى، وَهُوَ مِنْ بَابِ الالْتِفَاتِ، لأنه سبق ﴿وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ﴾، فَهُوَ خُرُوجٌ مِنْ غَائِبٍ إِلَى مُتَكَلِّمٍ، وَ ﴿عَنِّى﴾، مُتَعَلِّقٌ بـ

(١) سورة مريم: ٢.

(٢) سورة ص: ١٧.

(٣) سورة ص: ٣٠.

(٤) سورة ص: ٤١.

(٥) سورة ص: ٤٥.

(٦) سورة الفرقان: ١.

﴿سَأَلَكَ﴾.[1]

❁ **قال الإمام نجم الدين النسفي**: وقوله تعالى: ﴿عَنِّي﴾ أي: عن صفتي ومعاملتي معهم إذا دعوني.[2] والمراد بقوله: صفتي، أي: من القرب والبعد ويدل عليه قوله تعالى في جواب الشرط: ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾، **قال الإمام الشوكاني**: قَوْلُهُ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي﴾ يُحْتَمَلُ أَنَّ السُّؤَالَ عَنِ: الْقُرْبِ وَالْبُعْدِ، كَمَا يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ: ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾، وَيُحْتَمَلُ أَنِ السُّؤَالَ عَنْ: إِجَابَةِ الدُّعَاءِ، كَمَا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ﴾، وَيُحْتَمَلُ أَنِ السُّؤَالَ عَمَّا هُوَ أَعَمُّ مِنْ ذَلِكَ، وَهَذَا هُوَ الظَّاهِرُ مَعَ قَطْعِ النَّظَرِ عَنِ السَّبَبِ.[3]، قلت: وإذا كان السؤال عاما يحتمل أكثر من معنى، فقد دل الجواب على المراد. **قال الإمام الألوسي**: ﴿عَنِّي﴾ أي: عن قربي وبعدي.[4]، **قال الإمام محمد سيد طنطاوي**: والمعنى: وإذا سألك عبادي يا محمد عن قربى وبعدي فقل لهم: إني قريب منهم بعلمي ورحمتي وقدرتي وإجابتى لسؤالهم.[5]

---

(١) "البحر المحيط" لأبي حيان، ٢/ ٢٠٥.

(٢) "التيسير في التفسير" لنجم الدين عمر بن محمد أبي حفص النسفي، ت: ٥٣٧هـ، ٣/ ٩٣، ط/ دار اللباب، تحقيق: فادي المغربي، وماهر أديب حبوش.

(٣) "فتح القدير" لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني، ت: ١٢٥٠هـ، ١/ ٢١٢، ط/ دار ابن كثير.

(٤) "روح المعاني" لشهاب الدين الألوسي، ١/ ٤٦٠.

(٥) "التفسير الوسيط" لمحمد سيد طنطاوي، ١/ ٣٩٠.

قوله تعالى: ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾: أي: فقل لهم إني قريب[١]، –وقد بينت سر حذف (قل) في هذا الموضع– وهذا القول المضمر بعد فاء الجزاء ليترتب الجواب على الشرط، لأن الذي يترتب على الشرط هو الإخبار عن القرب، **قال الإمام أبو حيان**: وَالْفَاءُ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ جَوَابُ إِذَا، وَثَمَّ قَوْلٌ مَحْذُوفٌ تَقْدِيرُهُ: فَقُلْ لَهُمْ إِنِّي قَرِيبٌ، لأَنَّهُ لا يَتَرَتَّبُ عَلَى الشَّرْطِ الْقُرْبُ، إِنَّمَا يَتَرَتَّبُ الإِخْبَارُ عَنِ الْقُرْبِ.[٢]، **وقال الإمام الألوسي**: ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ أي: فقل لهم ذلك بأن تخبر عن القرب بأي طريق كان، ولا بد من التقدير إذ بدونه لا يترتب على الشرط.[٣]، **قال الإمام القونوي**: أضمر القول؛ إذ المرتب على الشرط هنا جواب المسئول عن أحوال المسئول عنه، لكن المسئول لما احتاج إلى تعليم الله تعالى في مثل هذا بين سبحانه وتعالى كيفية الجواب، فقال: فقل في جواب السؤال، لكن الأصل في التقدير: "فقل إنه قريب" عدل عنه إلى ما ذكر، فكأنه أمر النبي ﷺ بأن يؤدي معنى هذا الكلام أو بطريق حكاية كلامه تعالى، فيصير حاصله فقل إن الله تعالى يقول إني قريب.[٤]

---

(١) ينظر: "تفسير الماتريدي" لأبي منصور محمد بن محمد الماتريدي، ت: ٣٣٣هـ، ٢/ ٤٨، ط/ دار الكتب العلمية، تحقيق: مجدي باسلوم. "أنوار التنزيل" للبيضاوي، ١/ ١٢٥. "البحر المحيط" لأبي حيان، ٢/ ٢٠٥. "الدر المصون" للسمين الحلبي، ٢/ ٢٨٩. "إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم" لأبي السعود، ١/ ٢٠٠. "روح المعاني" للألوسي، ١/ ٤٦٠.

(٢) "البحر المحيط" لأبي حيان، ٢/ ٢٠٥.

(٣) "روح المعاني" لشهاب الدين الألوسي، ١/ ٤٦٠.

(٤) "حاشية القونوي على تفسير الإمام البيضاوي" لعصام الدين إسماعيل بن محمد الحنفي، ت: ١١٩٥هـ، ٥/ ٣٥، ط/ دار الكتب العلمية.

❋ أكد الله عز وجل قربه بـ (إنَّ) في قوله تعالى: ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾، لتأكيد وتثبيت هذا القرب في ذهن القارئ والسامع، فلا يتطرق إليه شك في قرب الله تعالى من عباده، واطلاعه على أقوالهم وأحوالهم. قال الإمام ابن عاشور: واحتيج للتَّأْكِيد بـ (إنّ)، لأنَّ الْخَبَرَ غَرِيبٌ وَهُوَ أَنْ يَكُونَ تَعَالَى قَرِيبًا مَعَ كَوْنِهِمْ لا يَرَوْنَهُ.(١)، والضمير المتصل بـ (إنَّ) مبني على السكون في محل نصب اسمها، و﴿قَرِيبٌ﴾ خبرها.

❋ ورد اسم الله القريب في القرآن ثلاث مرات، مرة مفردا كما في الآية التي نحن بصدد تفسيرها، ومرة مقترنا باسم الله المجيب كما في قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾(٢)، ومرة مقترنا باسم الله السميع كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى ۖ وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾(٣)، وأخبرنا الله عز وجل عن قربه لعباده في كتابه وعلى لسان نبيه، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾(٤)، وفي الحديث المتفق عليه من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفَرٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَجْهَرُونَ بِالتَّكْبِيرِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "أَيُّهَا النَّاسُ ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، إِنَّكُمْ لَيْسَ تَدْعُونَ أَصَمَّ ولا غَائِبًا، إِنَّكُمْ تَدْعُونَ

(١) "التحرير والتنوير" لابن عاشور، ٢/ ١٧٩.

(٢) سورة هود: ٦١.

(٣) سورة سبأ: ٥٠.

(٤) سورة ق: ١٦.

سَمِيعًا قَرِيبًا، وَهُوَ مَعَكُمْ، وَالَّذِي تَدْعُونَهُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَةِ أَحَدِكُمْ".[١]

❋ والقرب حقيقته هو القرب المكاني، وهو مستحيل في حقه تعالى، فالقرب هنا تمثيل لكمال علمه تعالى بأفعال العباد واطلاعه على أحوالهم والاستماع لأقوالهم وإجابته لدعائهم بحال من قرب مكانه منهم[٢]، **قال الإمام القونوي**: تمثيل أي: استعارة تمثيلية شبه الهيئة المنتزعة من أمور عديدة، وهي علمه تعالى بأفعال العباد واطلاعه على أحوالهم من إخلاصهم ونياتهم بالهيئة المأخوذة من أشياء كثيرة وهي شخص ومكانه وقرب مكانه من العباد، فاستعمل اللفظ المركب الموضوع للهيئة المشبه بها في الهيئة المشبهة، وهذا تصوير المعقول بالمحسوس للتقريب إلى الفهم.[٣]

قلت: والمتأمل في ما ذكر سابقا من اقتران اسم الله القريب باسميه السميع والمجيب في القرآن الكريم، وكذلك اقترانه في الحديث باسميه السميع البصير –كما في

---

(١) "**صحيح البخاري**" كتاب الجهاد والسير- بَابُ مَا يُكْرَهُ مِنْ رَفْعِ الصَّوْتِ فِي التَّكْبِيرِ، ٤/ ٥٧، رقم ٢٩٩٢. "**صحيح مسلم**" كتاب الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالاسْتِغْفَارِ- بَابُ اسْتِحْبَابِ خَفْضِ الصَّوْتِ بِالذِّكْرِ- ٤/ ٢٠٧٦، ٢٠٧٧، رقم ٢٧٠٤.

(٢) ينظر: "الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل" لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، ت: ٥٣٨هـ، ١/ ٢٢٨، ط/ دار الكتاب العربي. "أنوار التنزيل" للبيضاوي، ١/ ١٢٥. "إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم" لأبي السعود، ١/ ٢٠٠. "روح البيان" لإسماعيل حقي، ١/ ٢٩٦. "فتح القدير" للشوكاني، ١/ ٢١٢. "روح المعاني" للألوسي، ١/ ٤٦٠. "التفسير الوسيط" لمحمد سيد طنطاوي، ١/ ٣٩١.

(٣) "حاشية القونوي على تفسير الإمام البيضاوي" لعصام الدين الحنفي، ٥/ ٣٥. بتصرف

أحد ألفاظ الحديث-[1] وبمعيته سبحانه وتعالى، يستنبط أن قربه تعالى قرب سمع لأقوال العباد وإجابة لدعائهم ورؤية لأعمالهم وعلم بأحوالهم، **قال الإمام أبو حيان**: وَالْقُرْبُ الْمَنْسُوبُ إِلَى اللهِ تَعَالَى يَسْتَحِيلُ أَنْ يَكُونَ قُرْبًا بِالْمَكَانِ، وَإِنَّمَا الْقُرْبُ هُنَا عِبَارَةٌ عَنْ كَوْنِهِ تَعَالَى سَامِعًا لِدُعَائِهِ، مُسْرِعًا فِي إِنْجَاحِ طلب مَنْ سَأَلَهُ، فَمَثَّلَ حَالَةَ تَسْهِيلِهِ ذَلِكَ بِحَالَةِ مَنْ قَرُبَ مَكَانُهُ مِمَّنْ يَدْعُوهُ، فَإِنَّهُ لِقُرْبِ الْمَسَافَةِ يُجِيبُ دُعَاءَهُ.[2]، **وقال الإمام القاسمي**: والقريب من أسمائه تعالى الحسنى، ومعناه القريب من عبده بسماعه دعاءه، ورؤيته تضرّعه، وعلمه به.[3]

بعد أن أخبر الله تعالى عباده بقربه، أخبرهم بما هو دليل على القرب وتقرير وتحقيق له فقال تعالى: ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ﴾ والقطع لكمال الاتصال.[4]

والظاهر في معنى الجملة الكريمة أنها وعد من الله عز وجل بإجابة عبده إذا دعاه، وأنه لا يخيب من تضرع ولجأ إليه، فالله يجيب من دعاه بما شاء وكيف شاء ومتى شاء، كما بين ذلك النبي ﷺ قائلا: "مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو بِدَعْوَةٍ لَيْسَ فِيهَا إِثْمٌ، وَلا قَطِيعَةُ رَحِمٍ، إِلا أَعْطَاهُ اللهُ بِهَا إِحْدَى ثَلاثٍ: إِمَّا أَنْ تُعَجَّلَ لَهُ دَعْوَتُهُ، وَإِمَّا أَنْ يَدَّخِرَهَا لَهُ فِي

---

(١) "**صحيح البخاري**" كتاب التوحيد- بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَكَانَ اللهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: ١٣٤]، ٩/ ١١٧، رقم ٧٣٨٦.

(٢) "البحر المحيط" لأبي حيان، ٢/ ٢٠٥.

(٣) "محاسن التأويل" لمحمد جمال الدين بن محمد القاسمي، ت: ١٣٣٢هـ، ٢/ ٢٩، ط/ دار الكتب العلمية، تحقيق: محمد باسل.

(٤) ينظر: "إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم" لأبي السعود، ١/ ٢٠١. "روح المعاني" للألوسي، ١/ ٤٦٠. "التفسير الوسيط" لمحمد سيد طنطاوي، ١/ ٣٩١.

الآخِرَةِ، وَإِمَّا أَنْ يَصْرِفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا"، "قَالُوا: إِذًا نُكْثِرُ، قَالَ: "اللهُ أَكْثَرُ".(١)

فبين النبي أن الإجابة من الله عز وجل لمن دعاه -بما ليس بإثم ولا قطيعة رحم- أن يعطيه ما سأل -إن دعا بما قدر الله له-، أو يصرف عنه من السوء مثل ما سأل، أو

(١) أخرجه الإمام أحمد في "مسنده" مسند المكثرين من الصحابة، مسند أبي سعيد الخدري ﷺ، ١٧/ ٢١٣ رقم ١١١٣٣. والإمام ابن أبي شيبة في "مصنفه" كتاب الدعاء، في فضل الدعاء، ٦/ ٢٢ رقم ٢٩١٧٠. والإمام البخاري في "الأدب المفرد" بَابُ مَا يُدَّخَرُ لِلدَّاعِي مِنَ الأَجْرِ وَالثَّوَابِ، ص٢٤٨ رقم ٧١٠، ط/ دار البشائر الإسلامية، تحقيق: محمد عبد الباقي. والإمام أبي يعلى الموصلي في "مسنده" من مسند أبي سعيد الخدري ﷺ، ٢/ ٢٩٦ رقم ١٠١٩، ط/ دار المأمون، تحقيق: حسين أسد. والإمام الطحاوي في "شرح مشكل الآثار" بَابُ بَيَانِ مُشْكِلِ مَا رُوِيَ عَنْهُ عَلَيْهِ السَّلام مِنْ قَوْلِهِ: "يُسْتَجَابُ لأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ فَيَقُولُ: دَعَوْتُ فَلَمْ يُسْتَجَبْ لِي"، ٢/ ٣٣٥، ٣٣٦ رقم ٨٨١، ٨٨٢، ط/ مؤسسة الرسالة، تحقيق: شعيب الأرنؤوط. والإمام الطبراني في "الدعاء" بَابُ مَا جَاءَ فِي فَضْلِ لُزُومِ الدُّعَاءِ وَالإِلْحَاحِ فِيهِ، ص٣٢، رقم ٣٦. والإمام الحاكم في "المستدرك" كِتَابُ الدُّعَاءِ، وَالتَّكْبِيرِ، وَالتَّهْلِيلِ، وَالتَّسْبِيحِ وَالذِّكْرِ، ١/ ٦٧٠، رقم ١٨١٦. -وقال عقبه: هذا حديث صحيح الإسناد إلا أن الشيخين لم يخرجاه عن علي بن علي الرفاعي-. والإمام أبي نعيم الأصبهاني في "حلية الأولياء وطبقات الأصفياء" ٦/ ٣١١. والإمام ابن بشران في "أماليه" الْمَجْلِسُ الثَّانِي وَالسِّتُّونَ وَالسِّتُّمِائَةِ فِي ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةَ ثَمَانٍ وَعِشْرِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ، ص١٧٤، رقم ٣٩٩، ط/ دار الوطن. والإمام البيهقي في "الدعوات الكبير" بَابُ اسْتِحْبَابِ عَزِيمَةِ الْمَسْأَلَةِ لِلدَّاعِي إِذَا دَعَا وَالْقَوْلِ إِذَا اسْتُجِيبَ لَهُ وَإِذَا أَبْطَأَ عَلَيْهِ، ١/ ٤٩٣، رقم ٣٨٠، ط/ دار غراس، تحقيق: بدر بن عبد الله. قلت: والحديث صحيح الإسناد، رجاله ثقات، وقد صحح إسناده الشيخ الألباني في كتابه: "صحيح الأدب المفرد" ص٢٦٤، رقم ٧١٠/ ٥٥٠.

يدخرها له أجرا يوم القيامة، فالله لا يخيب رجاء عبده وتضرعه.

❋ واستعمال حرف الشرط (إذا) -دون (إن)- في قوله تعالى: ﴿أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ﴾: يفيد تحقق وقوع الدعاء بشروطه، والتضرع والتذلل من الداعي، وترتب الوعد بالإجابة على تحقق وقوع الدعاء، -ومن أوفى بعهده من الله-، فمتى تحقق اللجوء إلى الله عز وجل تحققت الإجابة.

❋ ويشترط في الدعاء عدة شروط، منها: أن لا يدعو بإثم ولا قطيعة رحم كما ذكر في الحديث السابق، ومنها: تحري الحلال، كما قال النبي ﷺ: "أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لا يَقْبَلُ إِلا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ﴾ ﴿المؤمنون: ٥١﴾ وَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾ ﴿البقرة: ١٧٢﴾، ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟ "[1]، ومنها: إخلاص الدعاء لله وحده، قال تعالى: ﴿فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[3]. ومنها: عدم استعجال الإجابة، كما قال النبي ﷺ:

---

(١) "**صحيح مسلم**" كتاب الزكاة- بَابُ قَبُولِ الصَّدَقَةِ مِنَ الْكَسْبِ الطَّيِّبِ وَتَرْبِيَتِهَا- ٢/ ٧٠٣، رقم ١٠١٥.

(٢) سورة غافر: ١٤.

(٣) سورة غافر: ٦٠.

"يُسْتَجَابُ لأحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ، يَقُولُ: دَعَوْتُ فَلَمْ يُسْتَجَبْ لِي"(١). ومنها: أن يكون الداعي حاضر القلب موقنا بالإجابة، كما قال النبي ﷺ: "ادْعُوا اللهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالإِجَابَةِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ لاَ يَسْتَجِيبُ دُعَاءً مِنْ قَلْبٍ غَافِلٍ لاَهٍ"(٢).

---

(١) "**صحيح البخاري**" كتاب الدعوات- بَابُ يُسْتَجَابُ لِلْعَبْدِ مَا لَمْ يَعْجَلْ، ٨/ ٧٤، رقم ٦٣٤٠. "**صحيح مسلم**" كتاب الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالاسْتِغْفَارِ- بَابُ بَيَانِ أَنَّهُ يُسْتَجَابُ لِلدَّاعِي مَا لَمْ يَعْجَلْ فَيَقُولُ: دَعَوْتُ فَلَمْ يُسْتَجَبْ لِي- ٤/ ٢٠٩٥، رقم ٢٧٣٥.

(٢) أخرجه الإمام الترمذي في "سننه" أبواب الدعوات، ٥/ ٣٩٤ رقم ٣٤٧٩. -وقال عقبه: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ لا نَعْرِفُهُ إِلا مِنْ هَذَا الوَجْهِ-. والإمام البزار في "البحر الزخار" ١٧/ ٣٠٧، رقم ١٠٠٦١، ط/ مكتبة العلوم والحكم، تحقيق: عادل بن سعد. والإمام الخرائطي في "اعتلال القلوب" بَابُ الرَّغْبَةِ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ بِإِصْلاحِ مَا فَسَدَ مِنَ الْقُلُوبِ، ١/ ١٦، رقم ٥، ط/ نزار الباز، تحقيق: حمدي الدمرداش. والإمام الطبراني في "الدعاء" بَابُ الأمْرِ بِالإِخْلاصِ فِي الدُّعَاءِ، ص٣٩، رقم ٦٢. والإمام الحاكم في "المستدرك" ١/ ٦٧٠، رقم ١٨١٧. -وقال عقبه: هذا حديث مستقيم الإسناد تفرد به صالح المري، وهو أحد زهاد أهل البصرة و لم يخرجاه-. والإمام البيهقي في "الدعوات الكبير" بَابُ اسْتِحْبَابِ تَعْظِيمِ الرَّغْبَةِ وَالدُّعَاءِ وَقَلْبُهُ مُوقِنٌ بِالإِجَابَةِ، ١/ ٤٩٧، رقم ٣٨٢. قلت: والحديث بشواهده يرتقي إلى درجة الحسن لغيره -كما بين ذلك الإمام ابن الملقن ت: ٨٠٤هـ، في "مختصر استدراك الحافظ الذهبي على مستدرك أبي عبد الله الحاكم" ١/ ٣٧١ رقم ١١٨، ط/ دار العاصمة، تحقيق: عبد الله اللحيدان-، ومعنى الحديث صحيح إذ لابد مع الدعاء من حضور القلب والإيقان بالإجابة، قال الإمام ابن رجب الحنبلي ت: ٧٩٥هـ: وَمِنْ أَعْظَمِ شَرَائِطِهِ: حُضُورُ الْقَلْبِ، وَرَجَاءُ الإِجَابَةِ مِنَ اللهِ تَعَالَى. "جامع العلوم والحكم" ٢/ ٤٠٣، ط/ مؤسسة الرسالة، تحقيق: شعيب الأرنؤوط.

❋ وفي الجملة الكريمة تقدم جواب الشرط على فعل الشرط للدلالة على تحقق وسرعة وقوع الإجابة، فيطمئن الداعي ويستقر في قلبه أنه ما دام قد لجأ إلى ربه ومولاه فإنه سريع الإجابة لمن دعاه.

❋ والتعبير بالفعل المضارع في قوله تعالى: ﴿أُجِيبُ﴾، يفيد تجدد واستمرار الإجابة من الله عز وجل كلما تحقق الدعاء ووقع من الداعي، وروعي فيه ضمير التكلم في ﴿فَإِنِّي﴾، ولم يراع الخبر فيجيء: يجيب، بالغيبة مراعاة لقوله: ﴿قَرِيبٌ﴾، قال الإمام أبو حيان: رُوعِيَ الضَّمِيرُ فِي: ﴿فَإِنِّي﴾، فَلِذَلِكَ جَاءَ أُجِيبُ، وَلَمْ يُرَاعَ الْخَبَرُ فَيَجِيءُ: يُجِيبُ، على طريقة الإِسْنَادِ لِلْغَائِبِ طَرِيقَانِ لِلْعَرَبِ: أَشْهَرُهُمَا: مُرَاعَاةُ السَّابِقِ مِنْ تَكَلُّمٍ أَوْ خِطَابٍ كَهَذَا، وَكَقَوْلِه تعالى: ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾[1]، ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾[2]، وَالطَّرِيقُ الثَّانِي: مُرَاعَاةُ الْخَبَرِ كَقَوْلِكَ: أَنَا رَجُلٌ يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَأَنْتَ امْرُؤٌ يُرِيدُ الْخَيْرَ.[3]

❋ والهاء في قوله تعالى: ﴿دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ﴾ ليست للمرة، بل التي بني عليها المصدر، مثل: رحمة، واستشارة، فالمصدر إذا كان على وزن "فَعلة" فإنَّ اسمَ المرة منه يكون بوصفه بكلمة "واحدة" للدلالة على المرة، فالمراد هنا عموم الدعوات لا دعوة واحدة،

---

(١) سورة النمل: ٤٧.

(٢) سورة النمل: ٥٥.

(٣) "البحر المحيط" لأبي حيان، ٢/ ٢٠٥، ٢٠٦. بتصرف يسير

واللام في قوله تعالى: ﴿ٱلدَّاعِ﴾ للعموم لا للعهد، فلا تدل على داع مخصوص.(١)

❁ قرأ ورش وأبو عمرو وأبو جعفر بإثبات الياء في قوله تعالى: ﴿ٱلدَّاعِ﴾ و ﴿دَعَانِۖ﴾ في الوصل دون الوقف، وحجتهم أَن الأَصْل فِي ذَلِك إِثْبَات الْيَاء لأن الْيَاء لام الْفِعْل وَإِذا وقفت حذفت الْيَاء اتبَاعا للمصحف، وقرأ يعقوب بإثبات الياء فيهما في الحالين، واختلف عن قالون فروى عنه إثباتهما وصلا كورش ومن معه وروى عنه حذفهما في الحالين، والوجهان صحيحان مقروء بهما، وإن كان الحذف أكثر وأشهر، وقرأ الباقون بحذفهما في الحالين، وحجتهم أَن ذَلِك فِي الْمُصحف بِغَيْر يَاء فَلا يَنْبَغِي أَن يُخَالف رسم الْمُصحف، وَحجَّة أُخْرَى وَهِي أَنهم اكتفوا بالكسرة عَن الْيَاء لأن الكسرة تنوب عَن الْيَاء.(٢)

---

(١) ينظر: "البحر المحيط" لأبي حيان، ٢/ ٢٠٦. "الدر المصون" للسمين الحلبي، ٢/ ٢٩٠. "اللباب في علوم الكتاب" لعمر بن علي بن عادل الحنبلي، ت: ٧٧٥، ٣/ ٢٩٥، ط/ دار الكتب العلمية، تحقيق: عادل عبد الموجود، وعلي معوض.

(٢) ينظر: "المبسوط في القراءات العشر" لأحمد بن الحسين بن مهران، ت: ٣٨١هـ، ص١٥٧، ط/ مجمع اللغة العربية، تحقيق: سبيع حمزة. "حجة القراءات" لعبد الرحمن بن محمد بن زنجلة، ت: ٤٠٣هـ، ص١٢٦، ١٢٧، ط/ دار الرسالة، تحقيق: سعيد الأفغاني. "إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر" لأحمد بن محمد الدمياطي، ت: ١١١٧هـ، ص٢٠٠، ط/ دار الكتب العلمية، تحقيق: أنس مهرة. "البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدرة" لعبد الفتاح بن عبد الغني القاضي، ت: ١٤٠٣هـ، ١/ ٤٦، ط/ دار الكتاب العربي.

﴿ بعد ما أخبر الله تعالى عباده بقربه ووعدهم بإجابة دعائهم بين لهم ما يجب عليهم تجاهه سبحانه جل وعلا، وما يجعل دعائهم مرجو الإجابة، فقال تعالى: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾، أو يقال في وجه النظم: بعدما بين الله إجابته لدعاء عبده مع غناه عنه أمر عباده باستجابتهم لدعائه تعالى مع احتياجهم إليه، قال الإمام الرازي: وَجْهُ النَّاظِمِ أَنْ يُقَالَ: إِنَّهُ تَعَالَى قَالَ: أَنَا أُجِيبُ دُعَاءَكَ مَعَ أَنِّي غَنِيٌّ عَنْكَ مُطْلَقًا، فَكُنْ أَنْتَ أَيْضًا مُجِيبًا لِدُعَائِي مَعَ أَنَّكَ مُحْتَاجٌ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ الْوُجُوهِ، فَمَا أَعْظَمَ هَذَا الْكَرَمَ.(١)

❋ والفاء في قوله تعالى: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي﴾ فصيحة تفصح في الآية الكريمة عن شرط محذوف مضمونه: إذا كنت قريبا منهم أجيب دعوتهم إذا دعوني فليستجيبوا هم لي فيما أدعوهم إليه لما يصلحهم وينجيهم.(٢)

❋ واللام في قوله: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُواْ﴾ لام الأمر وهي لام زائدة عن بنية الكلمة تدخل على الفعل المضارع تجزمه وتحوله إلى صيغة الأمر، والأكثر في حركتها الكسر إذا لم يسبقها "الواو" أو "الفاء" أو "ثم"، قال تعالى: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ﴾(٣)، فإذا سبقها أحد الأحرف الثلاثة فالأكثر تسكينها، كقوله تعالى: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي

(١) "مفاتيح الغيب" للرازي، ٥/ ٢٦٦.

(٢) ينظر: "تفسير المنار" لمحمد رشيد رضا، ٢/ ١٣٩. "تفسير المراغي" لأحمد بن مصطفى المراغي، ت: ١٣٧١هـ، ٢/ ٧٦، ط/ مطبعة مصطفى البابي. "التحرير والتنوير" لابن عاشور، ٢/ ١٨٠. "زهرة التفاسير" لمحمد بن أحمد بن مصطفى المعروف بأبي زهرة، ت: ١٣٩٤هـ، ٢/ ٥٦٣، ط/ دار الفكر العربي.

(٣) سورة الطلاق: جزء من الآية رقم ٧.

وَلْيُؤْمِنُواْ بِى﴾.[1]

❁ والاستجابة في الآية الكريمة إما بمعنى الإجابة، فيكون استفعل بمعنى أفعل، – وهو كثير في القرآن– قال تعالى: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾[2]، ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ﴾[3]، والسين والتاء للمبالغة، والإجابة من العبد لله الطاعة والانقياد لأوامر الله، والمعنى: فليجيبوا لي فيما دعوتهم إليه من الإيمان، أي بالطاعة والعمل، أو: لقد وعدتكم يا عبادي بأن أجيب دعاءكم إذا دعوتموني، وعليكم أنتم أن تستجيبوا لأمري، وأن تقفوا عند حدودي.[4]

وقد روي عن مجاهد وعبد الله بن المبارك أن الاستجابة: الطاعة، قال الإمام ابن

---

(١) ينظر: "الجنى الداني" لابن قاسم المرادي، ص١١٠: ١١٢. "مغني اللبيب" لابن هشام الأنصاري، ٣/ ٢١٧، ٢١٨. "النحو الوافي" لعباس حسن، ت: ١٣٩٨هـ، ٤/ ٤٠٦: ٤٠٨، ط/ دار المعارف.

(٢) سورة آل عمران: جزء من الآية رقم ١٩٥.

(٣) سورة الأنبياء: جزء من الآية رقم ٩٠.

(٤) ينظر: "النكت والعيون" لأبي الحسن علي بن محمد الماوردي، ت: ٤٥٠هـ، ١/ ٢٤٣، ط/ دار الكتب العلمية، تحقيق: السيد عبد المقصود. "تفسير القرآن" لأبي المظفر منصور بن محمد السمعاني، ت: ٤٨٩هـ، ١/ ١٨٦، ط/ دار الوطن، تحقيق: ياسر إبراهيم. "المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز" لأبي محمد عبد الحقبن غالب بن عطية، ت: ٥٤٢هـ، ١/ ٢٥٦، ط/ دار الكتب العلمية، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي. "مفاتيح الغيب" للرازي، ٥/ ٢٦٦. "البحر المحيط" لأبي حيان، ٢/ ٢٠٩. "روح المعاني" للألوسي، ١/ ٤٦٠. "التحرير والتنوير" لابن عاشور، ٢/ ١٨٠. "التفسير الوسيط" لمحمد سيد طنطاوي، ١/ ٣٩١، ٣٩٢.

أبي حاتم: حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ الْحَسَنِ، ثنا إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الْهَرَوِيُّ، أَنْبَأَ حَجَّاجٌ، عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ ﴿فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي﴾ فَلْيُطِيعُونِي. الاسْتِجَابَةُ: الطَّاعَةُ وَرُوِيَ، عَنِ الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ وَابْنِ جُرَيْجٍ، نَحْوُ قَوْلِ مُجَاهِدٍ.(١)، وقال الإمام ابن جرير الطبري: حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى، قَالَ: ثنا حَبَّانُ بْنُ مُوسَى، قَالَ: سَأَلْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ الْمُبَارَكِ، عَنْ قَوْلِهِ: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي﴾ قَالَ: طَاعَةَ اللهِ.(٢)

وإما أن تكون السين والتاء للطلب –وهو بابها والكثير فيها– والمعنى: فَلْيَطْلُبُوا إِجَابَتِي لَهُمْ إِذَا دَعَوْنِي.(٣)

❋ قوله تعالى: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي﴾ عدِّي باللام، لأنه ضمن(٤) معنى الانقياد، أي:

---

(١) "تفسير القرآن العظيم مسندا عن رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين" لأبي محمد عبد الرحمن بن محمد الرازي، ابن أبي حاتم، ١/ ٣١٥، رقم ١٦٧٠، ط/ مكتبة نزار مصطفى الباز، تحقيق: أسعد الطيب. قلت: الأثر صحيح، رجاله ثقات.

(٢) "تفسير الطبري" للطبري، ٣/ ٤٨٤ رقم ٢٩١٤. قلت: الأثر صحيح، رجاله ثقات.

(٣) ينظر: "المحرر الوجيز" لابن عطية، ١/ ٢٥٦. "الجامع لأحكام القرآن" للقرطبي، ٢/ ٣١٣. "البحر المحيط" لأبي حيان، ٢/ ٢٠٩. "الدر المصون" للسمين الحلبي، ٢/ ٢٩١. "اللباب في علوم الكتاب" لابن عادل، ٣/ ٣٠٠. "روح المعاني" للألوسي، ١/ ٤٦٠. "التفسير الوسيط للقرآن الكريم" لمجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، ١/ ٢٩١، ط/ الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية.

(٤) **التَّضْمِينُ**: هُوَ إِعْطَاءُ الشَّيْءِ مَعْنَى الشَّيْءِ وَتَارَةً يَكُونُ فِي الأَسْمَاءِ وَفِي الأَفْعَالِ وَفِي الْحُرُوفِ، فَأَمَّا فِي الأَسْمَاءِ فَهُوَ أَنْ تُضَمِّنَ اسْمًا مَعْنَى اسْمٍ لإِفَادَةِ مَعْنَى الاسْمَيْنِ جَمِيعًا، وَأَمَّا الأَفْعَالُ فَأَنْ تُضَمِّنَ فِعْلا مَعْنَى فِعْلٍ آخَرَ، وَيَكُونَ فِيهِ مَعْنَى الْفِعْلَيْنِ جَمِيعًا. ينظر: "البرهان في علوم القرآن" للزركشي، ٣/ ٣٣٨. "الإتقان في علوم القرآن" للسيوطي، ٣/ ١٣٦.

فلينقادوا لي.[1]

❁ وياء المتكلم في قوله: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي﴾ -والتي تعود على الله سبحانه وتعالى- أستنبط منها أولا: أنها تأكيد لقرب الله عز وجل لعباده المستجيبين له. وثانيا: حض العباد على الانقياد والامتثال لأمر الله عز وجل الذي أنعم وتفضل عليهم بقربه وإجابة دعائهم. وثالثا: علو ورفعة مكانة المنقاد والمستجيب لأمر الله تعالى.

❁ قوله تعالى: ﴿وَلْيُؤْمِنُواْ بِي﴾ أمر من الله عز وجل بالإيمان، -وقد سبق أن الخطاب في الآية للمؤمنين- فالأمر هنا محمول على الثبات والديمومة على الإيمان، أو الإيمان بأن الله يجيب دعاء من دعاه، أو الإيمان بأن الله يجزل الثواب لمن يستجيب له، أو الإيمان الحق الذي قال الله عز وجل عنه: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾[2].[3]

---

(١) ينظر: "مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد" لمحمد بن عمر نووي الجاوي، ت: ١٣١٦هـ، ١/ ٦٢، ط/ دار الكتب العلمية، تحقيق: محمد أمين الصناوي.

(٢) سورة الأنفال: ٢: ٤.

(٣) "تفسير الطبري" للطبري، ٣/ ٤٨٤. "الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه" لأبي محمد مكي بن أبي طالب، ت: ٤٣٧هـ، ١/ ٦١٣، ط/ مجموعة بحوث الكتاب والسنة -كلية الشريعة والدراسات الإسلامية- جامعة الشارقة. "المحرر الوجيز" لابن عطية، ١/ ٢٥٦. "أنوار التنزيل" للبيضاوي، ١/ ١٢٥. "البحر المحيط" لأبي حيان، ٢/ ٢٠٩. "إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم" لأبي السعود، =

❋ إن قال قائل: كل مستجيب لأمر الله مؤمن، والمؤمن كذلك مستجيب لأمر الله، فكيف جمع بينهما؟ ، فالجواب: أن الاستجابة لأمر الله عز وجل فعل الجوارح، والإيمان هو الثبات والدوام واعتقاد القلب، قال الإمام الراغب: إن قيل: كيف جمع بين الاستجابة والإيمان وأحدهما يغني عن الأخر؟ فإنه لا يكون مستجيبًا لله عز وجل من لا يكون مؤمنًا، ولا مؤمنا من لا يكون مستجيبًا، قيل: أحدهما وإن يضمن الآخر من حيث الاعتبار، فذكرها ليطمئن، فإن إجابته ارتسام أوامره ونواهيه التي يتولاه الجوارح، والإيمان هو الاعتقاد الذي تقتضيه القلوب، وأيضًا: فإن الإيمان المعني هاهنا هو الإيمان المذكور في قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾، وذلك بعد الإجابة.(١)

وقال الإمام ابن عاشور: يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِالاسْتِجَابَةِ امْتِثَالَ أَمْرِ اللهِ فَيَكُونَ ﴿وَلْيُؤْمِنُواْ بِي﴾ عَطْفًا مُغَايِرًا وَالْمَقْصُودُ مِنَ الأَمْرِ الأَوَّلِ الْفِعْلُ وَمِنَ الأَمْرِ الثَّانِي الدَّوَامُ، وَيَجُوزُ أَنْ يُرَادَ بِالاسْتِجَابَةِ مَا يَشْمَلُ اسْتِجَابَةَ دَعْوَةِ الإِيمَانِ، فَذِكْرُ ﴿وَلْيُؤْمِنُواْ﴾ عَطْفٌ خَاصٌّ عَلَى عَامٍّ لِلاهْتِمَامِ بِهِ.(٢)

❋ وقدم الأمر بالاستجابة لأوامر الله على الأمر بالإيمان؛ لأن امتثال أوامر الله عز

١/ ٢٠١. "روح المعاني" للألوسي، ١/ ٤٦٠. "فتح البيان في مقاصد القرآن" لأبي الطيب محمد صديق خان، ت: ١٣٠٧هـ، ١/ ٣٧٣، ط/ المكتبة العصرية. "محاسن التأويل" للقاسمي، ٢/ ٤٠. "التفسير الوسيط" لمحمد سيد طنطاوي، ١/ ٣٩٢. "التفسير الوسيط للقرآن الكريم" لمجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، ١/ ٢٩١.

(١) "تفسير الراغب الأصفهاني" للراغب الأصفهاني، ١/ ٣٩٧.

(٢) "التحرير والتنوير" لابن عاشور، ٢/ ١٨٠.

وجل له أثر كبير في الثبات على الإيمان وذوق حلاوته، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا وَإِذًا لَّآتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾[1]، والعبد لا يصل إلى نور الإيمان وقوته إلا بعد الاستسلام والانقياد لأمر الله، قال الإمام الرازي: وَكَانَ حَقُّ النَّظْمِ أَنْ يَقُولَ: فَلْيُؤْمِنُوا بِي وَلْيَسْتَجِيبُوا لِي، فَلِمَ جَاءَ عَلَى الْعَكْسِ مِنْهُ؟ ، وَجَوَابُهُ: أَنَّ الاسْتِجَابَةَ عِبَارَةٌ عَنِ الانْقِيَادِ وَالاسْتِسْلامِ، وَالإِيمَانُ عِبَارَةٌ عَنْ صِفَةِ الْقَلْبِ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْعَبْدَ لا يَصِلُ إِلَى نُورِ الإِيمَانِ وَقُوَّتِهِ إلا بِتَقَدُّمِ الطَّاعَاتِ وَالْعِبَادَاتِ.[2]

❋ والتعبير بصيغة المضارع في فعلي الاستجابة والإيمان، وقد دخل عليهما لام الأمر، فأفاد الفعل المضارع الأمر يستنبط من ذلك أنه يجب على المؤمن أن يكون دائما وأبدا في استجابة لأمر الله وثبات على الإيمان.

❋ قوله تعالى: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾: لعل هنا على بابها والأشهر والأكثر في معناها، وهو الترجي وهو توقع حصول أمر متردد بين الوقوع وعدمه مع رجحان الأول، -أو: توقع حصول الشيء عندما يحصل سببه وتنتفي موانعه- والأمر المتوقع هنا هو الرشد، وسببه الاستجابة لله والإيمان به، وهذا التوقع والترجي بالنسبة للمخاطبين، أما بالنسبة للمتكلم سبحانه وتعالى فترجية الله عز وجل متحققة لكماله –ليس كمثله شيء- وترجية غيره متوقعة لعجزه، **والمعنى**: يرجون بانقيادهم لأوامر الله وإيمانهم به حصول

(١) سورة النساء: ٦٦: ٦٨.

(٢) "مفاتيح الغيب" للرازي، ٥/ ٢٦٦.

الرشد وهو إصابة الحق، وسلوك طريق الهداية، والاهتداء لمصالح دينهم ودنياهم.[١]

❋ والتعبير بالفعل المضارع ﴿يَرْشُدُونَ﴾ –الدال على الاستمرار– يستنبط منه أن المؤمن ينبغي عليه أن يكون دائما في استجابته وفي ثباته على الإيمان راجيا إصابة الرشد ووصول الحق، فيجب عليه أن يطلب من الملك الوهاب إصابة الحق في كل باب.[٢]

❋ وهذا الختام مناسب أتم المناسبة للآية الكريمة حيث إن الله لما أمر عباده بالاستجابة لأمره والإيمان به نبه على أن ذلك لنفعهم لا لمنفعة تعود عليه سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا، قال الإمام أبو حيان: وَخَتْمُ الآيَةِ بِرَجَاءِ الرُّشْدِ مِنْ أَحْسَنِ الأَشْيَاءِ لأَنَّهُ تَعَالَى لَمَّا أَمَرَهُمْ بِالاسْتِجَابَةِ لَهُ، وَبِالإِيمَانِ بِهِ، نَبَّهَ عَلَى أَنَّ هَذَا التَّكْلِيفَ لَيْسَ الْقَصْدُ مِنْهُ إلا وُصُولَكَ بِامْتِثَالِهِ إِلَى رَشَادِكَ فِي نَفْسِكَ، لا يَصِلُ إِلَيْهِ تَعَالَى مِنْهُ شَيْءٌ مِنْ مَنَافِعِهِ، وَإِنَّمَا ذَلِكَ مُخْتَصٌّ بِكَ، وَلَمَّا كَانَ الإِيمَانُ شُبِّهَ بِالطَّرِيقِ الْمَسْلُوكِ فِي الْقُرْآنِ، نَاسَبَ ذِكْرُ الرَّشَادِ وَهُوَ: الْهِدَايَةُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾[٣]،

---

(١) ينظر: "الوجيز في تفسير الكتاب العزيز" لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي، ت: ٤٦٨هـ، ص١٥١، ط/ دار القلم، تحقيق: صفوان عدنان. "أنوار التنزيل" للبيضاوي، ١/ ١٢٥. "مدارك التنزيل وحقائق التأويل" لأبي البركات عبد الله بن أحمد النسفي، ت: ٧١٠هـ، ١/ ١٦٠، ط/ دار الكلم الطيب، تحقيق: يوسف بديوي. "البحر المحيط" ٢/ ٢٠٩، ٢١٠. "إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم" لأبي السعود، ١/ ٢٠١. "روح البيان" لإسماعيل حقي، ١/ ٢٩٧. "روح المعاني" للألوسي، ١/ ٤٦٠. "زهرة التفاسير" لأبي زهرة، ٢/ ٥٦٤.

(٢) ينظر: "حاشية القونوي على تفسير الإمام البيضاوي" لعصام الدين الحنفي، ٥/ ٣٧، ٣٨.

(٣) سورة الفاتحة: ٦.

﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[1]. [2]

❁ ثم إن ختم الآية بهذا الرجاء الدائم غاية من حسن الختام مناسب في المعنى لأولها حيث إن أولها قرب الله وإجابته لمن رجاه ودعاه وهو مناسب للرجاء في آخرها، ويسمى هذا التناسب في علم البديع بـ"تشابه الأطراف" وهو أن يختم الكلام بما يناسب أوله في المعنى.[3]

(١) سورة الشورى: جزء من الآية ٥٢.

(٢) "البحر المحيط" لأبي حيان، ٢/ ٢١٠.

(٣) ينظر: "حاشية القونوي على تفسير الإمام البيضاوي" لعصام الدين الحنفي، ٥/ ٣٧.

المبحث الخامس

لطائف الآية الكريمة

اللطائف جمع لطيفة، واللطيف من الكلام ما خفي معناه وغمض، واللطيفة: كل إشارة دقيقة المعنى تلوح للفهم لا يتسع لها اللفظ.(١)

في الآية الكريمة لطائف عظيمة عدة، منها:

١- وقوع الآية في أثناء آيات الصيام، قبلها أحكام صيام نهار رمضان، وبعدها أحكام تخص ليل رمضان، هذا الموقع يشير إلى لطيفتين عظيمتين:

أولا: ما يكون عليه الصائم بعد صومه من صفاء النفس وطهارة الروح لا سيما إذا قام بحق الصيام وقرب من الله عز وجل فإنه يستشعر حينئذ قرب ربه عز وجل منه فيزداد يقينا وحبا وثقة وإيمانا، والآية الكريمة تخبرنا بقرب الله عز وجل، قال الشيخ محمد أبو زهرة: كانت آية الدعاء وقرب الله تعالى لمن يدعوه واستجابته له، كان هذا إشارة إلى صفاء النفس الذي يكون للصائم إذا قام بحق الصيام، وقرب من الله تعالى.(٢)

ثانيا: حث الصائمين على أن يكون الدعاء ديدنهم أثناء صيامهم وبالأخص عند فطرهم، وقد أخبر النبي ﷺ بعدم رد دعوة الصائم عند فطره قائلا: "ثَلاثَةٌ لا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ الإِمَامُ الْعَادِلُ وَالصَّائِمُ حِينَ يُفْطِرُ وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ يَرْفَعُهَا فَوْقَ الْغَمَامِ وَتُفَتَّحُ لَهَا

---

(١) "موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم" لمحمد بن علي التهانوي، ت: بعد ١١٥٨هـ، ٢/ ١٤٠٧، ١٤٠٨، ط/ مكتبة لبنان، تحقيق: علي دحروج. "معجم اللغة العربية المعاصرة" لأحمد مختار عمر، بمساعدة فريق عمل، ٤٥٦٨- ل ط ف.

(٢) "زهرة التفاسير" لأبي زهرة، ٢/ ٥٦٤.

أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَيَقُولُ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ وَعِزَّتِي لأَنْصُرَنَّكِ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ"(١)، والآية تتحدث عن إجابة الله لدعاء الداعيين، وجاءت وسط أحكام النهار والليل في رمضان، فحري أن يتقرب الصائمون بالدعاء إلى الله لا سيما في هذا الوقت، قال الإمام ابن كثير: وَفِي ذِكْرِهِ تَعَالَى هَذِهِ الآيَةَ الْبَاعِثَةَ عَلَى الدُّعَاءِ، مُتَخَلِّلَةً بَيْنَ أَحْكَامِ الصِّيَامِ، إِرْشَادٌ إِلَى الاجْتِهَادِ فِي الدُّعَاءِ عِنْدَ إِكْمَالِ العِدّة، بَلْ وعندَ كُلِّ فِطْرٍ.(٢)

٢- في قوله تعالى: ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ﴾ إشارة لطيفة إلى كمال قدرة الله عز وجل وكمال عزته وملكه، فإن أي ملك من ملوك الدنيا، مهما أوتي من العز والقوة والسلطان لا يستطيع أن ينفذ كل ما يطلب منه، بل لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا فضلا عن أن يملك لغيره، قال الله عز وجل في الحديث القدسي: يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ

(١) جزء من حديث أخرجه الإمام الترمذي في "سننه" أبواب صفة الجنة، بَابُ مَا جَاءَ فِي صِفَةِ الجَنَّةِ وَنَعِيمِهَا، ٤/ ٢٥٣ رقم ٢٥٢٦. والإمام الحارث في "مسنده" كتاب الأدعية، باب في المواعظ، ٢/ ٩٦٨ رقم ١٠٧١، ط/ مركز خدمة السنة والسيرة النبوية بالمدينة المنورة، تحقيق: حسين البكري. والإمام ابن حبان في "صحيحه" باب وصف الجنة وأهلها، ذِكْرُ الإِخْبَارِ عَنْ وَصْفِ بِنَاءِ الْجَنَّةِ الَّتِي أَعَدَّهَا اللهُ جَلَّ وَعَلَا لأَوْلِيَائِهِ وَأَهْلِ طَاعَتِهِ، ١٦/ ٣٩٦، رقم ٧٣٨٧، ط/ مؤسسة الرسالة، تحقيق: شعيب الأرنؤوط. والإمام البيهقي في "شعب الإيمان" ٩/ ٣١١ رقم ٦٦٩٩. والحديث صحيح بشواهده، صححه الشيخ الألباني في "صحيح وضعيف سنن الترمذي".

(٢) "تفسير القرآن العظيم" لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، ت: ٧٧٤هـ، ١/ ٥٠٩، ط/ دار طيبة، تحقيق: سامي سلامة.

فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إلا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ.(١)

٣- في الآية الكريمة إشارة لطيفة إلى أن العبد لا يحتاج إلى مواعيد ولا أذونات ولا شيء من هذا القبيل إذا أراد أن يدعو ربه، بل ما عليه إلا أن يرفع يديه مع قلب مخلص صادق يسأل حاجته، فباب الدخول والإقبال على الله مفتوح في أي وقت من ليل أو نهار، قال التابعي الجليل بكر بن عبد الله المزني: مَنْ مَثَلُكَ يَا ابْنَ آدَمَ؟ خُلِّيَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْمِحْرَابِ تَدْخُلُ مِنْهُ إِذَا شِئْتَ عَلَى رَبِّكَ، وَلَيْسَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ حِجَابٌ ولا تَرْجُمَانٌ(٢)، فالمحروم الحقيقي من حرم طرق باب الملك سبحانه وتعالى.

٤- قال الله تعالى: ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ﴾ ولم يقل: أجيب الداع، وفي ذلك إشارة لطيفة إلى أن الدعوة مستجابة مهما اختلف ألوان الداعين وأجناسهم وألسنتهم بل وصلاحهم، فلا عبرة بشخصية الداعي، ولا عبرة أيضا بالمكان الذي صعدت منه الدعوة فالله يجيب دعوة عبده في البر والبحر والجو، ولقد دعا يونس ربه وهو في بطن الحوت فاستجاب دعاءه، وفي الجملة -أيضا- إشارة إلى إجابة دعوة الداع وقت دعائه عاجلا.

٥- في عطف الأمر بالإيمان على الأمر بالاستجابة إشارة لطيفة إلى أن الاستجابة إلى الله عز وجل بالطاعة والعمل الصالح إن لم تكن صادرة من صاحبها مصحوبة بروح الإيمان فلا يرجى لصاحبها أن يكون راشدا مهتديا، فمن أطاع الله عز وجل متبعا للعادة

---

(١) "**صحيح مسلم**" كتاب البر والصلة والآداب- باب تحريم الظلم- ٤/ ١٩٩٤، رقم ٢٥٧٧.

(٢) "حلية الأولياء" للأصبهاني، ٢/ ٢٢٩.

أو موافقة لمن حوله فإن عبادته لا تعده للاهتداء ولا الرشاد، **قال الشيخ محمد رشيد رضا**: إنَّ الأعْمَالَ إِذَا لَمْ تَكُنْ صَادِرَةً بِرُوحِ الإيمَانِ لا يُرْجَى أَنْ يَكُونَ صَاحِبُهَا رَاشِدًا مَهْدِيًّا، فَمَنْ يَصُومُ اتِّبَاعًا لِلْعَادَةِ وَمُوَافَقَةً لِلْمُعَاشِرِينَ فَإِنَّ الصِّيَامَ لا يَعُدُّهُ لِلتَّقْوَى ولا لِلرَّشَادِ، وَرُبَّمَا زَادَهُ فَسَادًا فِي الأَخْلاقِ وَضَرَاوَةً بِالشَّهَوَاتِ; لِذَلِكَ يُذَكِّرُنَا تَعَالَى فِي أَثْنَاءِ سَرْدِ الأَحْكَامِ بِأَنَّ الإيمَانَ هُوَ الْمَقْصُودُ الأَوَّلُ فِي إِصْلاحِ النُّفُوسِ، وَإِنَّمَا نَفْعُ الأَعْمَالِ فِي صُدُورِهَا عَنْهُ وَتَمْكِينِهَا إِيَّاهُ.(١)

٦- في قوله تعالى: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ إشارة لطيفة إلى أن المؤمن لا يغتر بطاعته ولا يعجب بها، بل مهما بلغ في الاستجابة لأمر الله والاستقامة على دينه والثبات على الإيمان لا بد أن يكون راجيا إصابة الرشد فلا يركن إلى طاعته ولا إلى عمله، بل يكون ذا رجاء وخوف دائما.(٢)

(١) "تفسير المنار" لمحمد رشيد رضا، ٢/ ١٣٩.

(٢) ينظر: "حاشية القونوي على تفسير الإمام البيضاوي" لعصام الدين الحنفي، ٥/ ٣٧.

المبحث السادس

ما ترشد إليه الآية الكريمة

في الآية الكريمة هدايات عظيمة جمة، منها:

١- الله قريب من عباده يعلم سرهم وجهرهم ومطلع على أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخۡفَىٰ عَلَيۡهِ شَيۡءٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾(١).

٢- استشعار قرب الله عز وجل يورث حبه واللجوء إليه في السراء والضراء، كما يورث مراقبته في السر والعلن.

٣- هذا القرب من الله لعباده يسكب في قلوب العباد الثقة واليقين والثبات والطمأنينة والأنس به سبحانه جل في علاه، فيعيش المؤمن في ملاذ أمين وقرار مكين.

٤- من فضل الله عز وجل وكرمه إجابته لمن دعاه وتضرع ولجأ إليه، قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾(٢)، ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾(٣).

٥- عدم رفع الصوت بالدعاء والعبادة فالله سميع قريب، قال تعالى: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَلَا تَجۡهَرۡ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتۡ

---

(١) سورة آل عمران: ٥.

(٢) سورة غافر: ٦٠.

(٣) سورة النمل: ٦٢.

بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴾[1]، قال الإمام المراغي: ويستفاد من هذه الآية أنه لا ينبغى رفع الصوت في العبادات إلا بالمقدار الذي حدده الشرع في الصلاة الجهرية، وهو أن يسمعه من بالقرب منه، فمن تعمد المبالغة في الصياح حين الدعاء، كان مخالفا لأمر ربه وأمر نبيه.[2]

٦- ينبغي على العبد أن يكون حاضر القلب مخلصا في دعائه وأن يوقن بالإجابة ولا يستعجلها.

٧- الله بمنته يجيب دعاء عبده إذا دعاه وعلى العبد أن ينقاد ويستجيب لأمر الله ولما فيه حياته، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾[3].

٨- على العباد أن يستجيبوا لأمر الله عز وجل وأن يثبتوا على الإيمان والعمل الصالح راجين باستجابتهم وثباتهم أن يكونوا من المهتدين.

---

(١) سورة الإسراء: ١١٠.

(٢) "تفسير المراغي" للمراغي، ٢/ ٧٥.

(٣) سورة الأنفال: جزء من الآية ٢٤.

الخاتمة

وفي الختام أحمد الله العلي القدير الذي منَّ عليَّ بإتمام هذا البحث، والمعيشة في ظلال الآية الكريمة والوقوف على هداياتها وإرشاداتها، فله الحمد والثناء الجميل، وأذكر أهم نتائج البحث، وهي كما يلي:

١- استشعار قرب الله عز وجل له أثر كبير في قوة الإيمان واللجوء إلى الرحمن في كل مواقف حياة الإنسان.

٢- العاجز الحقيقي من عجز عن الدعاء والوقوف بباب الكريم سبحانه الذي يستحي أن يرد يد عبده صفرا خائبتين.

٣- قوة الترابط والتناسب بين الآية الكريمة وما قبلها وبعدها.

٤- لم يصح سبب نزول خاص للآية الكريمة، فهي مما نزل ابتداءا.

٥- يجب على المؤمن أن يستجيب لأمر الله راجيا الهداية والرشاد.

وأما التوصيات:

١- أوصي بتدريس الآية الكريمة لطلاب المدارس والمعاهد والجامعات لما لها من أثر عظيم في ربطهم بخالقهم ومراقبتهم له.

٢- أوصي الأئمة والدعاة أن يذكروا الناس بالتضرع والدعاء بين يدي الله لتفريج هموم الأمة وغمومها، وأن يحثوهم على استشعار قرب الله عز وجل لما في ذلك من أثر عظيم في اضمحلال بل وتلاشي الجرائم والآثام.

٣- أوصي الآباء والأمهات أن يغرسوا في قلوب وعقول أبنائهم الصغار ما ترشد إليه الآية الكريمة من هدايات وما توحي به من لطائف وإرشادات.

فهرس أهم المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

"إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر" لأحمد بن محمد الدمياطي، ت: ١١١٧هـ، ط/ دار الكتب العلمية، تحقيق: أنس مهرة.

"الإتقان في علوم القرآن" لجلال الدين السيوطي، ت: ٩١١هـ، ط/ الهيئة المصرية العامة للكتاب، تحقيق: محمد أبو الفضل

"إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم" لأبي السعود، ت: ٩٨٢هـ، ط/ دار إحياء التراث العربي.

"أسباب النزول" للواحدي، ت: ٤٦٨هـ، ط/ دار الإصلاح، الدمام، الطبعة الثانية، تحقيق: عصام الحميدان.

"أنوار التنزيل وأسرار التأويل" للبيضاوي، ط/ دار إحياء التراث العربي.

"البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدرة" لعبد الفتاح بن عبد الغني القاضي، ت: ١٤٠٣هـ، ط/ دار الكتاب العربي.

"البرهان في علوم القرآن" لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الزركشي، ت: ٧٩٤هـ، ط/ دار إحياء الكتب العربية، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.

"التحرير والتنوير" لمحمد الطاهر بن عاشور، ت: ١٣٩٣هـ، ط/ الدار التونسية.

"التسهيل لعلوم التنزيل" لأبي القاسم محمد بن أحمد بن جزي الكلبي، ت: ٧٤١هـ، ط/ دار الأرقم بن أبي الأرقم، تحقيق: عبد الله الخالدي، الطبعة الأولى.

"تفسير القرآن العظيم" لابن كثير، ت: ٧٧٤هـ، ط/ دار طيبة، تحقيق: سامي سلامة.

"تفسير القرآن" لأبي المظفر منصور بن محمد السمعاني، ت: ٤٨٩هـ، ط/ دار الوطن، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، وغنيم بن عباس.

"التفسير القرآني للقرآن" لعبد الكريم الخطيب، ت: بعد ١٣٩٠هـ، ط/ دار الفكر العربي، القاهرة.

"تفسير المراغي" لأحمد مصطفى المراغي، ت: ١٣٧١هـ، ط/ مكتبة مصطفى الحلبي.

"تفسير المنار" لمحمد رشيد بن علي رضا الحسيني، ت: ١٣٥٤هـ، ط/ الهيئة المصرية العامة للكتاب.

"التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج" للزحيلي، ط/ دار الفكر المعاصر، دمشق، الطبعة الثانية.

"التفسير الوسيط للقرآن الكريم" لمجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، ط/ الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية.

"التفسير الوسيط" للزحيلي، ط/ دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى.

"التفسير الوسيط" لمحمد سيد طنطاوي، ت: ١٤٣١هـ، ط/ دار نهضة مصر، القاهرة، الطبعة الأولى.

"تقريب التهذيب" لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ت: ٨٥٢هـ، ط/ دار الرشيد، تحقيق: محمد عوامة.

"تهذيب اللغة" لأبي منصور الأزهري ت: ٣٧٠هـ، ط/ دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ت ط/ ٢٠٠١م، تحقيق: محمد عوض.

"توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم" لابن ناصر

الدين محمد بن عبد الله الدمشقي، ت: ٨٤٢هـ، ط/ مؤسسة الرسالة، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي.

"تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان" للسعدي، ت: ١٣٧٦هـ، مؤسسة الرسالة.

"جامع البيان عن تأويل آي القرآن" للطبري، ت: ٣١٠هـ، ط/ دار هجر، تحقيق: عبد الله التركي.

"الجامع لأحكام القرآن" للقرطبي، ت: ٦٧١هـ، ط/ دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش.

"حاشية محيى الدين شيخ زاده على تفسير البيضاوي" ط/ دار الكتب العلمية.

"حجة القراءات" لعبد الرحمن بن محمد بن زنجلة، ت: ٤٠٣هـ، ط/ دار الرسالة، تحقيق: سعيد الأفغاني.

"الدر المصون في علوم الكتاب المكنون" لأبي العباس، أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي، ت: ٧٥٦هـ، ط/ دار االقلم، تحقيق: أحمد الخراط.

"روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني" للآلوسي، ت: ١٢٧٠هـ، ط/ دار الكتب العلمية، تحقيق: علي عطية.

"زاد المسير في علم التفسير" لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي، ت: ٥٩٧هـ، ط/ دار الكتاب العربي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي.

"زهرة التفاسير" لأبي زهرة، ت: ١٣٩٤هـ، ط/ دار الفكر العربي.

"سنن أبي داود" لأبي داود السجستاني، ت: ٢٧٥هـ، ط/ دار الرسالة، الطبعة الأولى، تحقيق: شعيب الأرنؤوط.

"سنن الترمذي" للترمذي، ت: ٢٧٩هـ، ط/ مكتبة مصطفى الحلبي، الطبعة الثانية، تحقيق: أحمد شاكر.

"الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية" للجوهري، ت: ٣٩٣هـ، ط/ دار العلم للملايين، الطبعة الرابعة، تحقيق: أحمد عطار.

"صحيح البخاري" لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، ت: ٢٥٦هـ، ط/ طوق النجاة.

"صحيح مسلم" لأبي الحسن مسلم بن الحجاج، ت: ٢٦١هـ، ط/ دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق: محمد عبد الباقي.

"العجاب في بيان الأسباب" لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ت: ٨٥٢هـ، ط/ دار ابن الجوزي، تحقيق: عبد الحكيم محمد الأنيس.

"غرائب القرآن ورغائب الفرقان" للنيسابوري، ت: ٨٥٠هـ، ط/ دار الكتب العلمية، تحقيق: زكريا عميرات.

"فتح القدير" لمحمد بن علي الشوكاني، ت: ١٢٥٠هـ، ط/ دار ابن كثير.

"القاموس المحيط" لمجد الدين الفيروزآبادي، ت: ٨١٧هـ، ط/ مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثامنة، تحقيق: مكتب تحقيق التراث بمؤسسة الرسالة.

"الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل" لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، ت: ٥٣٨هـ، ط/ مكتبة العبيكان، بالرياض، تحقيق: عادل عبد الموجود، وعلي معوض.

"الكشف والبيان عن تفسير القرآن" للثعلبي، ت: ٤٢٧هـ، ط/ دار إحياء التراث العربي، تحقيق: أبو محمد بن عاشور.

"لباب التأويل في معاني التنزيل" للخازن، ت: ٧٤١هـ، ط/ دار الكتب العلمية.

"لباب النقول في أسباب النزول" لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ت: ٩١١هـ، ط/ دار الكتب العلمية، تحقيق: أحمد الشافعي.

"لسان العرب" لابن منظور، ت: ٧١١هـ، ط/ دار صادر، بيروت.

"المبسوط في القراءات العشر" لأحمد بن الحسين بن مهران، ت: ٣٨١هـ، ط/ مجمع اللغة العربية، تحقيق: سبيع حمزة.

"محاسن التأويل" للقاسمي، ت: ١٣٣٢هـ، ط/ دار الكتب العلمية، تحقيق: محمد باسل.

"المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز" لابن عطية، ت: ٥٤٢هـ، ط/ دار الكتب العلمية، تحقيق: عبد السلام محمد.

"مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد" لمحمد بن عمر نووي الجاوي، ت: ١٣١٦هـ، ط/ دار الكتب العلمية، تحقيق: محمد أمين الصناوي.

"مسند أحمد" لأحمد بن حنبل، ت: ٢٤١هـ، ط/ مؤسسة الرسالة، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وآخرون.

"المصباح المنير في غريب الشرح الكبير" للفيومي، ت: ٧٧٠هـ، ط/ المكتبة العلمية.

"معالم التنزيل في تفسير القرآن" للبغوي، ت: ٥١٠هـ، ط/ دار إحياء التراث العربي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي

"المعجم الكبير" لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، ت: ٣٦٠هـ، ط/ مكتبة ابن تيمية، تحقيق: حمدي عبد المجيد.

"معجم اللغة العربية المعاصرة" لأحمد مختار عمر، ت: ١٤٢٤هـ، بمساعدة فريق عمل، ط/ عالم الكتب، الطبعة الأولى.

"مفاتيح الغيب" للرازي، ت: ٦٠٦هـ، ط/ دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة.

"المفردات في غريب القرآن" لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، ت: ٥٠٢هـ، ط/ دار القلم، بيروت، تحقيق: صفوان عدنان.

"مقاييس اللغة" لأبي الحسين أحمد بن فارس الرازي، ت: ٣٩٥هـ، ط/ دار الفكر، تحقيق: عبد السلام هارون.

"ميزان الاعتدال في نقد الرجال" لأبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، ت: ٧٤٨هـ، ٣/ ٥٥٧، ط/ دار المعرفة، تحقيق: علي محمد البجاوي.

"الهداية إلى بلوغ النهاية" لمكي بن أبي طالب، ت: ٤٣٧هـ، ط/ جامعة الشارقة.

فهرس الموضوعات

ملخص البحث ١

المقدمة ٥

التمهيد ٩

المبحث الأول: مناسبة الآية الكريمة بما قبلها ١٤

المبحث الثاني: تحرير القول في سبب نزول الآية الكريمة ١٨

المبحث الثالث: بيان المعاني اللغوية لمفردات الآية الكريمة ٣٠

المبحث الرابع: الشرح والبيان ٣٧

المبحث الخامس: لطائف الآية الكريمة ٦٢

المبحث السادس: ما ترشد إليه الآية الكريمة ٦٦

الخاتمة ٦٨

فهرس أهم المصادر والمراجع ٦٩

فهرس الموضوعات ٧٥